مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: استقبال الذات من العالم والتشكيل اللغوي: طه حسين في "الوعد الحق" نموذجاً
اسم الكاتب: أحمد يحيى علي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/9027
تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 09:24 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عدد B

المجلد 16، العدد 2
ربيع الثاني 1441 هـ / ديسمبر 2019 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

ديسمبر 2019م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 16 العدد 2 (B)
https//:doi.org/10.36394/jhss/16/2B/6

استقبال الذات من العالم والتشكيل اللغوي: طه حسين في «الوعد الحق» نموذجًا

أحمد يحيى علي
كلية الألسن - جامعة عين شمس
القاهرة - مصر

تاريخ الاستلام: 29-07-2018 **تاريخ القبول: 20-12-2018**

ملخص البحث:

تناقش هذه الدراسة فعل الاستقبال المتصل بتجربة الذات في عالمها؛ أي السياق الواقعي الخارجي المحيط بها بوصفه ذا أثر فاعل يسهم في توجيه وعي الذات وفيما يترتب على ذلك من أشكال تعبيرية، من بينها الأدب بأنماطه المختلفة، وتركز الدراسة في مجالها التطبيقي على تجربة الكاتب المصري طه حسين (1889م - 1973م) من خلال أحد أعماله؛ ألا هو عمله «الوعد الحق»، من خلال معالجة وصفية تحليلية تحاول الإفادة من بعض مقولات نظرية التلقي وقراءة النصوص وبعض مصطلحات علم السرد الحديث، في محاولة للإجابة عن سؤال مفاده: كيف يكون فعل استقبال الذات من عالمها المبني على قراءتها له في جوهره ذا طبيعة إرسالية تتسبب في ظهور أشكال تعبيرية تشغل موقع رد الفعل أو تعد بمثابة نتيجة تكشف عن التطابق الحاصل بين الطرفين، الذي لا يقتصر في فهمنا له على مسألة الترادف أو التماهي، بل يتوسع ليصير إشارة إلى الضد، وتحاول الدراسة الإفادة من نواتج فكرية خرجت بها حقول معرفية عدة، مثل: نظرية السرد الحديث، وفعل القراءة و نظرية التلقي، ومفهوم الظاهراتية أو الفينومينولوجيا (الذات وإدراكها لما في العالم) المتصل بحقل الفلسفة، ومفهوم المطابقة في حقل البلاغة.

الكلمات الدالة: ذات، عالم، رواية، استقبال.

- **مدخل**

فعل الكتابة سلوك إنساني يخضع في وجوده إلى عاملين رئيسين: ذاتي يتصل مباشرة بصاحبه والمؤثرات المختلفة المصاحبة له التي قد تكون نفسية أو اجتماعية أو تاريخية أو حضارية تتصل بواقع عام ينتمي إليه صاحب القلم وتلقي بظلالها على عمله عمومًا؛ وهو ما يدفع إلى الإشارة إلى العامل الثاني؛ ألا وهو العامل الغيري؛ الذي يمكن تسميته بالفاعل المضمر الذي من شأن استكشافه تبرير هذا السلوك الإنساني، والتعبير بالأدب عملية لها أصولها التي يمارسها المعني بها بقدر من الوعي بما لها من قواعد سبقه إليها آخرون في إطار الجنس الأدبي الذي تنضوي تحته، مع الاعتراف بأن لكل عملية قدرًا من الجمالية التي تنبع من خصوصية تشكيلها، بحكم سلطان التجربة الذي يفرض نفسه على وعي الكاتب فيوجهه في مسار بعينه يظهر من خلاله عمله في نهاية المطاف.

- **استقبال الذات من العالم ومفهوم البلاغة**

إن روافد التجارب الإنسانية عمومًا التي تعد مناط اهتمام الفن على تنوع أشكاله متمثلة في: الأسطورة، التاريخ، واقع الحياة المحيط بالكاتب، الخيال - الذي يعيد صياغة هذا الواقع وفق معالجة تحظى بقدر من الغرائبية تشد انتباه المتلقي لأنها بشكل أو بآخر تخالف أفق توقعاته وتكسر حاجز المألوف المعتاد لديه - التجارب الشخصية للكاتب نفسه، العقل الباطن أو اللاشعور[1]، هذه الروافد جميعها تضفي على المنجز الفني الناجم عنها طابعًا بلاغيًا مميزًا، يتجاوز بمصطلح مقتضى الحال المعنى المباشر المتصل بمقام الكلام المحيط بطرفي عملية الاتصال: المرسل والمتلقي معًا ليكون بمثابة مرآة عاكسة لرصيد متراكم من الخبرات الإنسانية تم استقباله وقراءته وهضمه والتشبع به بعد تفاعلات جدلية معه[2]

(1) انظر: د. محمد مندور، الأدب وفنونه، طبعة 2000م، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص74، 75.

(2) يحيل هذا التصور إلى مصطلح الفينومينولوجيا، أو ما يعرف بعلم الظواهر أو الظاهراتية التي كانت محل اهتمام أكثر من حقل معرفي، كعلم النفس والفلسفة الفينومينولوجيا هي علم الظواهر .(phénomènes) استعملت أولاً في ميدان علم النفس لتدل على الظواهر السيكولوجية (الرغبة، الإدراك، الإحساس،...) ومظاهر الوعي في محتواه النفسي، والقائمة على ملاحظة ووصف الظاهرة «كما هي» معطاة، قصد تحليلها وتحديد خصائصها وفهمها على وجه الخصوص. وتعني الفينومينولوجيا في إطارها الفلسفي والأنطولوجي تحديد بنية الظواهر وشروطها العامة؛ بمعنى مشكلة الظهور أو الانبثاق لأية ظاهرة، الذي يتصل لأول وهلة اتصالاً مباشرًا بالوعي؛ فأول التقاء للوعي الذي أثارته وجلبت انتباهه ظاهرة معينة هو صلب المسائل التي تحاول الفينومينولوجيا معالجتها، ويمكن تصوير هذه المسألة بأول وميض يثير انتباه البصر إليه .وهذه الإثارة، أو الانتباه) لا تبقى في محيط الانفعالات السيكولوجية، بل ترتقي في مضمونها الفلسفي- الأنطولوجي إلى فضاء الماهيات (essences)قصد رصد ماهية الظاهرة التي تتجلى للوعي وتتجلى في الوعي، ويهتم علم النفس بـ«الوعي

ليظهر في شكل أصداء تعبيرية تدلل على حضوره، من هذه الأصداء الأدب الذي يحاكي ما في العالم باللغة؛ فالإنسان كائن معبر ليس بمعزل عن سياق ثقافي أكبر يحتضنه وسياقه الثقافي ليس بمعزل عن سياق جامع أعم هو سياق الأسرة الإنسانية عبر امتدادها التاريخي على اختلاف ألسنة أفرادها وألوانهم؛ ومن ثم فإن هذا المدلول الأثير لمصطلح البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال يمكن توظيفه بالإفادة من مصطلح المحاكاة الشهير الذي تحدث به أرسطو[1] في النظر إلى كل منجز أدبي وفني بوصفه انعكاسًا لخبرة في الاتصال بالعالم تتمدد وتتوسع لتتجاوز حدودًا محلية وأطرًا حضارية وثقافية محددة لتلامس الجوهر الإنساني العام في ضوء المشترك الجامع لكل منتمٍ إلى هذا الجنس (الإنسان) في نشاطه داخل العالم: العقل، القلب، الجوارح.

إن اللغة إذًا في مستواها الأدائي المرتبط بالممارسة الجمالية الأدبية تعتمد على حال يتمثل فيما يمكن تسميته باستقبال بليغ من العالم[2]، وفي أعماقه تسكن خبرات وقراءات، ولا يمكن بحال من الأحوال قصرها فقط على ما يطفو على السطح من سيرة الكاتب واتجاهه الفكري؛ فسيرته - وما تحمله من معلومات ضرورية تعين القارئ المؤول في معالجته لجانب مما كتب - تعد بمثابة بنية ظاهرة تحتضن وراءها آثارًا معرفية أخرى تتحرك في مشارب شتى بين ماضٍ وحاضر ينتمي إلى سياق الكاتب ووافد آت من

التجريبي»، بالوعي في الموقف التجريبي؛ بوصفه كائنًا ضمن نظام الطبيعة؛ بينما تهتم الفينومينولوجيا بالوعي الخالص.

G.Warnke, Gadamer, Hermeneutics, Trandition and Reason, Polity Press-Basil Blackwell Ltd, 1987, p.12 – 15.

(1) مفهوم المحاكاة الذي أقام من خلاله الفيلسوف اليوناني أرسطو ربطًا وثيقًا بين الفن بتجلياته المتنوعة وعالم الطبيعة يشكل أحد المرتكزات البارزة لفكره؛ إذ أرجع كل الفنون إلى محاكاة الطبيعة، وقد قسم هذه المحاكاة أقسامًا ثلاثة: محاكاة الواقع، محاكاة لما يمكن أن يكون، محاكاة المثال، أو ما يجب أن يكون.
- انظر: د. مصطفى علي عمر، مقالات في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، 1987م، دار المعارف، القاهرة، ص23، 24.

(2) حظي مصطلح الفينومينولوجيا بمعالجات تفصيلية في حقل الفلسفة على وجه التحديد من خلال مجهودات عدد من منتسبيها، مثل: هوسرل وهيدجر ودراستهم لقضية الظواهر؛ بوصفها أداة من أداوت التفسير المرهون بالشعور وبما يستقر في فضاء وعي الذات من تصورات تضفي على ما في العالم حضورًا مميزًا يمتزج فيه الوجود الموضوعي بالتشكل الذاتي المعتمد على مواقف الفرد امتزاجًا كبيرًا إلى حد بعيد، وتأتي دراسة هذه الثنائية الأثيرة تحت ما يسمى بالفينومينولوجيا أو علم الظواهر، وقد تجاوزت حقل الفلسفة فوجدت لها مكانًا في نشاط النقد في العصر الحديث الذي أفاد من الدرس الفلسفي وعلم الجمال والدرس اللساني الحديث الذي أفاد من الاثنين معًا.
- انظر: جان بول سارتر، نظرية في الانفعالات، ترجمة: د.سامي محمود علي، ود.عبد السلام القفاش، طبعة 2001م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، من ص27 إلى ص39.

سـياقات أخـرى مغايـرة. [1]

وفعـل القـص بالنظـر إلـى المدلـول المعجمـي للكلمـة، الـذي يعنـي القطـع يقـود إلـى مسـألة الاختيـار أو الانتقـاء[2]؛ فالـذات المعبـرة التـي تتحـرك فـي عالمها مشـبعة برصيد معرفي يسـاعدها علـى قـراءة نفسـها والعالـم مـن حولهـا تأخـذ مـن الخـارج المحيـط بهـا مـا يتفـق وقناعاتهـا ويمثـل فـي الوقـت ذاتـه وسـيلة تنفيـس أو تفريـغ للكامـن فـي جهازهـا النفسـي؛ بوصـف التعبيـر فـي عمومـه إرضـاء لحاجـات نفسـية ذاتيـة قبـل أن يتطـور أو يتوسـع ليلامـس شـئونًا أخـرى اجتماعيـة أو تاريخيـة أو حضاريـة أو غيـر ذلـك ممـا يتجـاوز عالـم الـذات الفـردي المحـض إلـى غيـره، ولا شـك فـي أن البنيـة الظرفيـة المتصلـة بزمـان المؤلـف ومكانـه تمثـل عتبـات تقليديـة يقـف عليهـا كل قـارئ لعملـه – فـي الغالـب – سـواء بقصـد الإفـادة منهـا فـي محاولـة تفسـير مـا يحملـه هـذا العالـم المصنـوع بالكلمـات أو بقصـد الحصـول علـى بطاقـة تعـارف قـد اعتـاد الحصـول عليهـا لأي كاتـب قبـل عمليـة القـراءة، إن هـذه العمليـة تمثـل مرحلـة تاليـة علـى مرحلـة قـراءة أولـى تسـبقها؛ ألا وهـي اسـتقبال الكاتـب مـن عالمـه فـي إطـار زمانـي ومكانـي محـدد وإحالتـه مـا قـام باسـتقباله إلـى بنيـة محـددة المعالـم تعكـس انتمـاءه وتوجهـه المميـز لـه فـي الكتابـة[3]؛ لـذا فـإن

(1) يحيل هذا التصور إلى فكرة النسقية التي أفرد لها عبد الله الغذامي حديثًا مفصلا في كتابه عن النقد الثقافي ويدور في مدارها مصطلحات عدة، مثل: النسق المضمر، والجملة النسقية، والدلالة النسقية، والمؤلف المزدوج والحديث عنها يتصل بفكرة السلطة الحاكمة التي تقف وراء عملية الإنتاج النصي الذي يبدو ظاهرًا ملموسًا في فضاء التداول، هذه السلطة الفاعلة الحاكمة لا يمكن اختصارها أو اختزالها في فاعل قريب مباشر يتجلى في شخص المؤلف أو المبدع للنص فحسب؛ إن هذه النسقية تعكس حالة، وهي بمثابة حشد من الأفكار والسياقات التي تتراكم وتتضافر وتتقاطع عند هذا الظاهر الملموس المتمثل في هذه الرسالة الفنية المنقولة من مرسل إلى مرسل إليه.
- انظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، الطبعة الثالثة، 2005م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، من ص71 إلى ص81.

(2) يرتبط هذا الطرح بشكل وثيق بنهج واضعي مصنفات السير والتراجم في معالجاتهم للشخصيات التي تنزع نحو تسليط الضوء على جوانب معينة في الموضوع/الشخصية محل الاهتمام، وهو تسليط معني أولا وأخيرًا بجانب الحقيقة التاريخية فيما يتم تسجيله؛ الأمر الذي يجعل من البعد الفني الذي ينطوي على هامش حرية في إعادة صياغة أو إضافة يبدو متواريًا – بدرجة كبيرة – أمام هذا الجانب الذي يُراد له الظهور أكثر من غيره.
- انظر: جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي، عبد الله صولة، طبعة 1992م، منشورات بيت الحكمة، تونس، من ص42 إلى ص54.

(3) إن الفن بوصفه نظامًا دلاليا متعدد الوجوه يمثل في جوهره حالة اجتماعية؛ فلا يمكن بحال من الأحوال التعامل مع الممارسة الفنية عمومًا؛ بوصفها سلوكًا فرديًا محضًا؛ لأن حتمية التفاعل المنعقدة في كل الأحوال بين الفرد وسياقه الجمعي تتيح لهذا الأخير نشاطًا فاعلا موجهًا لفعل الفرد مهما ادعى هذا الفرد أنه يبتعد أو يزاول نشاطه التعبيري في جو من الغربة والرحيل بعيدًا عن هذا السياق؛ إذ يبقى هذا الأخير ممسكًا بخيوط اللعبة المحركة لعملية التعبير على تنوع تجلياتها؛ فلا وجود في حقيقة الأمر لما يسمى عزلة مطلقة يمكن للفرد الادعاء بأنه يستطيع القيام بها؛ ومن ثم فإن لكل عمل فردية ماهية تصطبغ بصبغة جمعية (سوسيولوجية) يتشبع بها العقل

هذا المرسل الذي نتصدى له بالقراءة يعد بمثابة حالة شديدة الصلة بواقع وبطقس فكري مصاحب له؛ ومن ثم فإن الوقوف أمام عمله عبر فعل التلقي والقراءة هو في حقيقة الأمر محاولة بوعي وقصد أو بطريق غير مباشر لتصفح سياق زماني ومكاني في لحظة شديدة الخصوصية تتجلى في هذا العمل الذي بثه إلى من قُدر له قراءته.

إن مفهوم البلاغة إذًا ومتعلقاته التي تأخذنا إلى المرسل/الكاتب، والرسالة (العمل المكتوب)، والمستقبل القارئ يعد وثيق الصلة أو مرادفًا لهذه الحتمية التي لا تنفك عن أي إنسان عمومًا؛ ألا وهي استقبال الفرد من العالم عبر هذه الوسيلة المسماة (قراءة) بمعناها الواسع القائم على التدبر بالعقل والقلب وتوظيف الجوارح في التفاعل مع هذا العالم يشكل مرحلة أولى تليها مرحلة الإرسال الذي يختزل المتراكم في وعي هذا الفرد الإنسان بحكم علاقة الصلة المنعقدة بينه وبين عالمه وما يلازمها من قوانين ومرجعيات حاكمة تؤثر في طبيعة السلوك الصادر عنه[1]؛ ومن ثم فإن عمله المكتوب؛ بوصفه أحد أشكال التعبير المتولدة عن علاقة الصلة هذه يعد بمثابة مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ فخلف هذه الأحادية التي يمثلها عمله يسكن معمار من الأفكار والمعارف تحيل إلى بناء حياتي أكبر؛ هذه الطبيعة الجمالية لكل مصنوع باللغة أو بغيرها يجعلنا أمام استعارة تمثيلية - بالإفادة من مفهوم المحاكاة الأرسطي الشهير – تأتي امتدادًا لما في الواقع المعيش وبموازاته.

الفردي ولا يمكنه الفكاك منها.

- انظر: روبرت سي هول، نظرية الاستقبال، ترجمة: رعد عبد الجليل عواد، الطبعة الأولى، 1992م، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، من ص46 إلى ص54.

(1) في كتاب برتراند راسل المعنون بـ« السلطة والفرد» يتجلى في ثناياه بوضوح النظرة الموسعة إلى فكرة السلطة؛ بوصفها إطارًا جامعًا لحزمة من الأفكار ذات القدرة على التأثير في حركة الفرد وفي علاقته ببنائه الاجتماعي الذي ينتمي إليه؛ وهذه الحزمة نتاج نشاط الفرد والجماعة وما تم التوافق عليه في ظل حركة عبر الزمن؛ فما يسكن هذا الإطار يعد بمثابة قناعات تم إقرارها لتؤدي دور الوصي الموجه بدرجة ما للسلوك على تنوع أشكاله في داخل بيئة اجتماعية محددة، وتؤدي روافد مثل الدين والقانون الوضعي والخيال بدرجاته المنبثق من الأسطورة ومن الرؤية الواقعية للعالم المتصلة بالإبداع على تعدد أشكاله إضافة إلى الأفكار المتصلة ببيئات محلية داخل النظام الاجتماعي نفسه دورًا في صياغة هذا الإطار الذي يشير إلى كلمة سلطة، وبالطبع يتمدد بمفهومها ليخرج به من نطاق ضيق مباشر يشير حضورها بالمعنى السياسي ليعبر عن أبنية فكرية ذات طابع مجرد تتشخص وتتجسد وتبدو واضحة من خلال استلهام عناصر البناء الاجتماعي لها فيما يصدر عن عناصره البشرية من أفعال تتنوع في أحوالها بين منقاد ملب ومرض لها وخارج عنها أو رافض لها.

- انظر: برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة: د. لطفيةً عاشور، طبعة 1994م، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- **ثنائية العالم المرسل والذات القارئة في تجربة طه حسين**

والكاتب والأكاديمي المصري طه حسين المولود في العام 1889م في إحدى قرى محافظة المنيا بصعيد مصر والمتوفى في العام 1973م يشكل نموذجًا يمكن الاستشهاد به في التدليل على هذه النافذة أو العين التي نستطيع أن نرى بها واقعًا بجذوره في الماضي وبحضوره في المضارع من خلال ما سطره قلمه من أعمال في إطار حالة الالتحام بين كل ذات وعالمها، وفي إطار محاولة فهم مدلول المطابقة الذي نجده في معنى لفظة البلاغة وما يفرزه من رؤى مجردة تتلمس طريقها للوجود الملموس عبر وسائل عدة من بينها اللغة، ويمكن وضع بطاقة تعارفية له من خلال محددات عدة:

- فقد بصره في سن مبكرة
- الابن السابع لأسرة فقيرة
- تلقى تعليمه الأول في الكتاب وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن ينتقل إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر.
- تتلمذ على فكر الإمام محمد عبده التنويري، الذي غرس فيه منهج الاجتهاد وإعمال العقل في التأويل بعيدًا عن المدرسة الاتباعية التي كانت رائجة في الأزهر وغالبة؛ مما ترتب عليه طرده من الأزهر في مرحلة لاحقة.
- التحق بالجامعة المصرية ودرس فيها التاريخ العربي الإسلامي والحضارة المصرية القديمة وعلم اللغة المقارن والفلسفة على يد أكاديميين مصريين وأجانب، وفي الجامعة حصل على ماجستير الأدب عن أطروحته التي تقدم بها حول أبي العلاء المعري.
- سافر إلى فرنسا وتعلم اللغة الفرنسية واقترب أكثر من التاريخ والأدب الفرنسي وأتم هناك رسالته للدكتوراه وكانت في مجال علم الاجتماع وموضوعها يركز على ابن خلدون.
- نشأت صلته التي بقيت مؤثرة بدرجة كبيرة في حياته بسوزان التي تزوج منها وأنجب منها.

- عين أستاذًا في الجامعة المصرية بعد عودته من فرنسا، وكان لكلية الآداب بها النصيب الأوفر في حضوره الأكاديمي

- كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي يبدو فيه احتفاؤه الواضح بآراء المستشرق الإنجليزي مرجليوث من جهة، ومن جهة ثانية يعتمد في منهجه وفي طريقة معالجته على الجدل والشك - الذي يكشف من خلاله عن تأييد لطريقة الفيلسوف ديكارت - المستعين بإعمال العقل والاجتهاد الحر دون قيود تسبب في ضجة كبيرة وردود فعل سلبية على الساحة الفكرية والأدبية المصرية منذ صدوره في العام 1926م.

- سيرته الأيام التي خرجت بعد كتابه هذا بثلاث سنوات تعد بمثابة رد فعل من جانبه تجاه ردود الأفعال الرافضة لكتابه هذا.

- من المهام التي أوكلت إليه وزارة المعارف في العام 1950م، ورئاسة مجمع اللغة العربية من العام 1963م حتى وفاته، ورئاسة نادي القصة.

- تتنوع مؤلفاته بين الأدب والتاريخ والرواية والنقد والفلسفة والتربية.

- من مؤلفاته: في الشعر الجاهلي، الأيام، دعاء الكروان، المعذبون في الأرض، ذكرى أبي العلاء، فلسفة ابن خلدون، على هامش السيرة، الوعد الحق، حديث الأربعاء، الحياة الأدبية في جزيرة العرب، أديب، الشيخان، فصول في الأدب والنقد، حافظ وشوقي، ألوان، مرآة الإسلام.[1]

- يمكن القول بناء على هذه البطاقة التعريفية المختصرة: إن طه حسين يعد بمثابة ظاهرة ثقافية ألقت بظلال على المشهد الفكري المصري والعربي خلال القرن العشرين، ويعد نتاجًا وثيق الصلة بفواعل عدة يمكن اختزالها في:

أ. النشأة التي أحاطت بها سحب الفقر والجهل والمرض والفقد (العمى)

ب. التحاقه بالأزهر وتأثره بفكر الإمام محمد عبده، ثم بالجامعة المصرية ودراسته للتاريخ العربي وللحضارة المصرية القديمة.

(1) انظر: طه حسين، موقع المعرفة على شبكة المعلومات الدولية، www.marefa.org.

ج. سفره إلى فرنسا وتأثره بأسلوب ديكارت ولقاؤه وزواجه من سوزان

إذًا فإن محاولة الوقوف على منجزات هذه الشخصية – أي كلامها المنطوق والمكتوب - يجب أن يخضع لهذه الرؤية المنبثقة من مدلول مصطلح البلاغة[1]؛ فمقتضى الحال الذي يمكن أن يفسر للقارئ المتابع جُل أعمال هذا الرجل يمكن تبين ملامحه من خلال هذه الفواعل الثلاثة الرئيسة وما ينضوي تحتها من تفاصيل، ويعزز هذا الطرح كذلك هذه المقولة الأثيرة للعالم الإنجليزي تشارلز داروين «الإنسان ابن بيئته»؛ ومن ثم فإن القراءة الناقدة التي تتجاوز عتبة الشكل وصولاً إلى الدلالة عليها أن تتأمل أولا هذه المطابقة بين

(1) يمكن القول: إن مبحث علم المعاني يمثل السلطان العمدة والمُعَوَّل عليه عند الوقوف على الصيغة اللغوية في سياق بياني أوبديعي بعد ذلك؛ أي أن المبحثين التاليين لعلم المعاني في حقل البلاغة يعتمدان اعتمادًا رئيسًا على النشاط الذي يتمخض عنه هذا المبحث لما له من أبعاد تتعلق بحال المتكلم والمتلقي ووضعية المقام وملابساته؛ بوصفها جميعًا أمورًا فاعلة ومؤثرة في التعبير اللغوي ، وقد خصص الجرجاني (عبد القاهر) المتوفى في العام 471هـ، في مصنفه الأثير: دلائل الإعجاز مساحة واسعة للحديث عن الصيغة اللغوية على مستوى المفردة والتركيب واتصالها بعوامل خارجها تتعلق بمنظومة الاتصال الكلامي: المتكلم، والمتلقي والمقام، ومن بين ما قاله « في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبَّر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن المقاصد وراموا أن يعلموهم مما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم...ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له» هذه الرؤية الجرجانية تعد بمثابة نبع نهلت منه علوم معرفية حديثة، كعلم النفس، وعلم الجمال وعلم لغة النص، وعلم الأسلوب، والدرس اللساني الحديث في مجمله منذ ظهوره وانتشاره الكبير في بدايات القرن العشرين بعدما أحدثه السويسري فردينان دي سوسير بمقولاته في كتابه محاضرت في علم اللغة العام من ردود أفعال قوية على الساحة اللغوية والنقدية..

- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، طبعة 2000م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص43.

وفي ضوء هذه الحالة التي يتصل فيها البناء اللغوي بالخارج المحيط بعملية ظهوره ويخضع بدرجة كبيرة لما في هذا الخارج من معطيات تترسخ قناعة نسمعها حينما نتأمل هذا القول من الجرجاني الذي يندرج في إطار نظريته في النظم « إن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وإن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتًا وأصداءً وحروفًا لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»

- السابق: ص55، 56.

من رحم هذه الرؤية التراثية يخرج إلى النور في فكرنا الحديث مصطلح الخطاب ويضحى المنجز الكلامي في طريقة تشكيله وطبيعة المستوى اللغوي المستخدم في بنائه في مجمله رهنًا بطرفي عملية الاتصال (المتكلم والمخاطب) والحالة المتصلة بكل منهما، ومن بين ما أشار إليه د. محمد عبد المطلب في كتابه « البلاغة العربية: قراءة أخرى» قوله «أما المتلقي فإن حضوره يأتي تاليًا للمتكلم من خلال استحضار حالته الإدراكية من ناحية، وحالته الثقافية من ناحية أخرى؛ فحال المتلقي هي التي تفرض على الصياغة تشكيلاً بعينه، بحيث يكون افتقاد المطابقة ضياعًا للمستهدف الكلامي...ذلك أن المراعاة لها مقتضى، وهذا المقتضى يتفاوت؛ فتارة يقتضي ما لا يفتقر في تأديته إلى أزيد من الدلالة الوضعية؛ أي المستوى العادي المألوف، الذي تنتظم فيه الدوال في عفوية كيفما اتفق، وهو الذي أسماه السكاكي (أصل المعنى)، وتارة ينحرف عن هذا المستوى المألوف؛ حيث تستوفي التراكيب خواصها الإبداعية التي تجاوز الأصل»

- د. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية: قراءة أخرى، الطبعة الأولى، 1997م، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ص205.

العالم الخارجي المحيط بالكاتب و عالمه المصنوع من الداخل وما يسكنه من معانٍ، وما تتمخض عنه هذه المطابقة من نتائج قد تسير في رافدين:

- الأول: الكاتب من خلال بعض أعماله قد يكون نموذجًا للمتصالح الملتحم ببيئته
- الثاني: الكاتب من خلال بعض أعماله قد يكون نموذجًا للرافض المتمرد الساخر الذي يقيم بينه وبين العالم الخارجي المحيط علاقة تقوم على الضد

فالرافد الأول إذًا يقدم لنا المرسل/الكاتب في ثوب المؤيد المتماهي الذي تعتمد علاقته بهذا الخارج على ما يمكن تسميته (الترادف)، أما الثاني فإنه يكشف عن بعض ما تركه واقع هذا الكاتب من آثار تؤشر لوجود مسافة ذهنية ونفسية بينه وبين عالمه؛ لذا فإن شكل العلاقة بين الاثنين من هذه الزاوية يقوم على ما يمكن تسميته (التضاد)؛ لذا فإن مسألة المطابقة المتصلة بمفهوم مصطلح البلاغة يجب ألا يتم قصرها وتحديدها في جانب بعينه دون آخر؛ إنها تعني التماثل والتنافر، وينسجم هذا التصور مع الطبيعة المرنة لكل ذات إنسانية بصفة عامة التي تسير في علاقتها بما يحدث في عالمها على وتيرة واحدة أو على موقف ثابت يتجمد على حال بعينه، لكن هذا المسير يبقى – إلى حد كبير - مرهونًا بمحددات تحظى بصفة الثبات، هذه المحددات تتصل بعوامل النشأة والتكوين والمؤثرات الوافدة إلى الوعي من العالم في مراحل العمر الأولى (الطفولة والصبا وبدايات الشباب).

- **فاعلية موقع الاستقبال من العالم في التشكيل اللغوي**

والقضية التي تضعها هذه الدراسة في مجال اهتمامها، وتسعى إلى الإفادة والانطلاق منها تبدو تقليدية متعارف عليها، إذا ما تم النظر إلى هذه الحالة الفاعلية لسكنى الكاتب موقع المستقبل (المرسل إليه) بدايةً في علاقته بعالمه وتأثره بما يجري فيه في ظل ظرف زماني ومكاني محدد وما تفرزه هذه الحالة من منجز يتوسل باللغة في ظهوره أمام القارئ بهيئة معينة ذات بعدين: شكلي ظاهر (البناء اللغوي لعمل هذا الكاتب)، ومعنوي يتصل بجانب الدلالة مجال اهتمام القارئ المؤول، وبجانب المقصدية؛ أي المغزى الكامن وراء خروج هذا العمل إلى النور عاكسًا ما قد يُفترض أنه سكن في فضاء الوعي من خواطر، أو أفكار مجردة استقرت فيه حال شغل هذا الكاتب موقع المستقبل من عالمه؛ ومن ثم فإن ما يسمى تجربة شعورية أو خبرة تقف وراء خروج رسالة الكاتب الإبداعية إلى من يتلقاها هي بمثابة سؤال أو مجموعة أسئلة تم توجيهها إلى حالة واقعية معيشة

في زمان ومكان محددين من قبل الكاتب إما بوعي وبقصد منه وإما بغير ذلك؛ فتكون النتيجة – على سبيل المثال – صياغة تعبيرية لغوية، وتتأثر منهجية المعالجة الخاصة بهذه الدراسة بخصوصية العمل وصاحبه؛ فـ «الوعد الحق» لطه حسين يناقش في مضمونه مرحلة بالغة الدقة في حياة المجتمع العربي المسلم، متمثلة في دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والملابسات التي أحاطت بها في بداياتها الأولى والهجرة بشقيها المتصل بالحبشة أولا ثم بالمدينة بعد ذلك وجانب من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وثمة إشارة إلى حقبة الخلافة الراشدة، وإلى أحداث الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية؛ في بنية قصصية تشغل تسع وعشرين وحدة سردية[1]؛ لذا فإن الدراسة في عملها تحاول الاقتراب والإفادة من بعض مقولات نظرية التلقي وقراءة النصوص، إضافة إلى بعض مصطلحات علم السرد الحديث.

إن مشكلة هذه الدراسة إذًا يمكن بلورتها في هذه الصيغة الاستفهامية: كيف أثر السياق الواقعي المحيط بتجربة الكاتب طه حسين في وعيه؛ ومن ثم في صدور عدد من مصنفاته، كـ «الوعد الحق» بما تحمله من دلالات – هي بمثابة رسائل يبثها من موقع المرسل - تخاطب شريحة بعينها من القراء في زمنه؟

إننا بصدد مادة تاريخية تمت صياغتها في قالب سردي، هذا القالب السردي عبارة عما يمكن تسميته لوحات قصصية، في صياغة تقترب بهذا العمل من مصنفات أصحاب السير والتراجم؛ إن طه حسين بالنظر إلى مسألة التجربة الشعورية المرتبطة بثنائية (الذات والعالم) يسكن موقع المتلقي الذي يقرأ ما في عالمه مستقبلاً بعض ما فيه، وفي هذه القراءة نقف على الآتي:

- تأثر طه حسين بالتاريخ العربي الذي درسه في أثناء الحقبة التي قضاها طالبًا بالجامعة المصرية.
- تأثر طه حسين بفن ظهر حديثًا وأضحى له رواده الذين يبدعون من خلاله وقراؤه، هو فن الرواية، وكانت رواية زينب التي صدرت مع بدايات القرن العشرين، وتعد مؤشرًا على بداية الظهور الحقيقي لهذا الفن، وقد سبقتها إرهاصات كان

(1) انظر: د. طه حسين، الوعد الحق، طبعة 2001م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

القرن التاسع عشر شاهدًا عليها[1]. وقد سبق في هذا التأثر بالطبع عمله السيري «الأيام» الذي خرج إلى النور في العام 1929م، الذي جاء تاليًا للأزمة التي أحدثها كتابه عن الشعر الجاهلي.

- يحيل هذا العمل لطه حسين «الوعد الحق» إلى هذا التوجه في الكتابة الأدبية الروائية المسمى (الرواية التاريخية) الذي يعد الأديب الأسكتلندي وولتر سكوت رائده، ولهذا التوجه رواد في أدبنا العربي في العصر الحديث منذ جرجي زيدان ثم من أتى بعده، أمثال: أحمد شوقي، نجيب محفوظ، محمد فريد أبو حديد، علي الجارم، محمد سعيد العريان، علي أحمد باكثير، عبد الحميد جودة السحار وغيرهم. [2]

- تأثر طه حسين بحالة واقعية مهيمنة في زمنه تتمثل في احتلال أجنبي لمصر ولغيرها من البلدان العربية الإسلامية؛ ومن ثم فإن عملاً كهذا على ما فيه من ارتباط بالتراث وبالمعتقد يعد إحدى وسائل ترسيخ الهوية ومحاولة الحفاظ عليها بإزاء هذا الكيان الوافد غزوًا والحاضر بلغته وبثقافته إلى جانب حضوره العسكري. وبقدر من التوسع في محاولة الفهم والتأويل هل يمكن القول: إن إقامة طه حسين معمار «الوعد الحق» في تسع وعشرين وحدة يحمل مغزى، يتمثل في دلالة هذا الرقم على الشهر في السنة العربية الذي قد يتنوع في حضوره بين العدد 29 والعدد 30؟

- فرغ طه حسين من تأليف هذا العمل في العام 1949م، كما تشير إلى ذلك الوحدة

(1) انظر: د.أحمد درويش، مدخل إلى الأدب العربي الحديث، من ص 161 إلى ص182، موقع دكتور أحمد درويش على شبكة المعلومات الدولية، www.drahmeddarwesh.com/book

(2) يعد هذا الجنس الأدبي المنبثق من فن الرواية أحد اهتمامات أصحاب المدرسة الواقعية في الإبداع الأدبي الذين يميلون إلى توظيف حدث تاريخي والإفادة منه في صياغة حكائية تخضع في تصميمها إلى رؤية الكاتب صاحب العمل وإلى الخط الذي رسمه لنفسه في توجيه هذا الحدث ذي الحضور الحقيقي داخل بنيته التعبيرية بما يخدم حاجة في نفسه تتصل بظرفه الواقعي المعيش؛ مما يدفع معه إلى النظرة إلى هذا التاريخي الذي يتضمنه عمله النثري بوصفه رمزًا يسقط ويشير إلى حاضر كائن في عالم المؤلف.
- انظر:
- جورج لوكاش، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، طبعة 2005م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، من ص 28 إلى ص39.
- د. محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، طبعة 2005م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، من ص191 إلى ص205.

السردية التاسعة والعشرون[1]؛ وهو ما يطرح تساؤلا مفاده: هل يعد هذا العمل بمثابة رسالة من طه حسين إلى من انتابهم شك في عقيدة هذا الرجل وفي إيمانه بعد ما أثاره كتابه «في الشعر الجاهلي» - الذي خرج في العام 1926م - من ضجة لم تنته ولم يذهب أثرها على الرغم من تبرئة المحكمة له؛ فأراد بهذا العمل وبغيره مثل: «على هامش السيرة»، و«الشيخان» وأشباههما أن يجادل ويصوب ما علق في وعي من تلقى كتابه «في الشعر الجاهلي» من آثار سلبية رافضة له ومهاجمة لمسلكه[2]، ليس بسبب هذا الكتاب وحده، ولكن بالنظر إلى جل ما قدمه طه حسين من أعمال مما رآه رافعو لواء الدفاع عن الدين والهوية محاولة من جانبه لهدم ثوابت يرتكز عليها البناء الحضاري العربي بالتوازي مع انحياز للتراث الذي اعتمدت عليه أوربا في نهضتها ممثلاً فيما قدمه الإغريق والرومان القدماء.[3]

(1) انظر: د. طه حسين، الوعد الحق، ص 176.

(2) الحديث عن مسألة المغزى في محاولة تفسير السلوك الإنساني عمومًا يقود إلى أحد المصطلحات المتعلقة بحقل علم النفس؛ ألا وهو (مبدأ اللذة/Pleasure principle)، الذي يمكن من خلاله تبرير ما يصدر من أفعال بناء على تصور الذات للأحوال الواقعية الكائنة في العالم الخارجي، ورغبتها في إجراء عمليات تنفيس وتفريغ لما أفرزته هذه الأحوال من نتائج في الجهاز النفسي الداخلي لها بغرض إحداث اتزان قد أصابه خلل؛ بحكم عوامل تتعلق بالكبت ومنطقة اللاشعور؛ لذا فإن السعي إلى إيجاد شعور بسعادة وتجنب الإحساس بألم يشكل المدار الدلالي لهذا المصطلح.
- انظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، طبعة، 2000م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص152، 153، 154.
إذن يمكن تناول هذا المصطلح في سياق رؤية كلية شمولية لمجمل أشكال التعبير الإنساني، ومن بينها الأدب؛ وهو ما يعني الانتقال من منطقة الاستقراء القائمة على رصد السلوك أو الفعل المُنجز ووصف أبعاده إلى محاولة تفسيره، هذه المحاولة التي يمكن الذهاب بها بعيدًا باتجاه الوصول إلى هذا المبدأ، الذي نستطيع الحكم عليه بأنه يشكل نقطة التقاء أو غاية يتوحد ويتقاطع عندها أعضاء الأسرة الإنسانية جميعهم، أما عن الوسائل المستخدمة للوصول إلى هذه الغاية النهائية، فتعبر عنها الأفعال والاهتمامات التي تبدو ساطعة من خلالها حتمية الاختلاف أو لنقل سنة الاختلاف بين بني البشر.
وبموازاة هذه الغاية التي يمكن القول: إن كل أشكال الفعل الإنساني تلتقي عندها، وحضورها في حقل علم النفس تحت هذا المصطلح (مبدأ اللذة)، يأتي بموازاتها ما يسمى بالقصدية (intentionality) التي كانت مجال اهتمام فلاسفة، مثل: هوسرل وارتباطها بالشعور الذي يتولد من الذات إزاء شيء ما؛ ومن ثم فإن النزعة العاطفية أو الحالة الذهنية هي بمثابة الوجه المقابل لموضوع أو لشيء ما، ولا يمكن أن تأتي من عدم، ويعد هذا المصطلح من الأشياء التي يمكن الوقوف عندها من خلال دراسة ما يسمى بعلم الظواهر، أو الفينومينولوجي وتركيزه على هذه الثنائية الأثيرة (الذات والعالم).
- انظر: جان بول سارتر، نظرية في الانفعالات، ترجمة: د.سامي محمود علي، د.عبد السلام القفاش، ص122.

(3) يقود هذا الافتراض إلى العلاقة الوثيقة بين الأدب وعلم النفس؛ بوصف العملية الأدبية في مجملها انعكاسًا لنمط سلوكي ينجزه الإنسان في إطار ثنائية (السبب والنتيجة)؛ فالعامل النفسي المتصل بما يسكن في داخل الذات يحظى بحضور فاعل مؤثر يسهم بلا شك في مخرجات فعلية ملموسة تظهر بوصفها نتيجة له، ومحاولة البحث

- وفي سياق الوقوف على التجربة الشعورية كذلك التي تركز على العلاقة التفاعلية بين الذات وعالمها الخارجي يمكن القول: إن «الوعد الحق» يرتبط بطابع تعليمي ذي صبغة وعظية يوضح بجلاء ثوب الأكاديمي المعلم الذي يرتديه طه حسين فهو أستاذ جامعي؛ ومن ثم فإن النزعة التربوية لها حضورها في شخصيته، يضاف إليها بالطبع الأثر الذي تركه فيه الأزهر الذي التحق به في بواكير حياته؛ إذ هو في الأصل مؤسسة تعليمية وعظية.

- إن حال المستقبِل في علاقة طه حسين بواقعه الخارجي قد نتج عنه إذًا منجزات لغوية من بينها «الوعد الحق» الذي يمكن القول: إنه يشكل قراءة متعددة الأوجه:

- مباشر قريب يتمثل في جزء مهم من تاريخ المجتمع العربي المسلم، وقد وصل هذا الجزء إلى المتلقي طه حسين عبر قناة اتصالية حاملة يمكن معرفتها من داخل «الوعد الحق»؛ ففي الوحدة الثامنة والعشرين إشارة ضمنية عابرة إلى ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي / متوفى:/ 230هـ/844م) صاحب كتاب: الطبقات الكبرى[1]، الذي يعد واحدًا من أشهر كتب السير والطبقات التي

في العلاقة السببية التي يمكن أن تكون قائمة بين التعبير على اختلاف أشكاله ومنه الأدب من ناحية والجهاز النفسي للإنسان من ناحية ثانية قضية شغلت بال المعنيين بعلم النفس، مثل فرويد ومن بعده كارل جوستاف يونج، في إطار الحديث المتشعب والمفصل عن مسائل التنفيس والتفريغ التي تكشف بشكل رمزي عن أمور تتصل بالحالة الداخلية للإنسان التي ترتبط ارتباطا وثيقًا وترتهن في معالجتها بأمور تتعلق بالتكوين والنشأة وبالسياق الاجتماعي المحيط بالذات؛ إذن تبقى قناعة أن العامل النفسي يعد أحد الفواعل المتسببة في إنجاز الفعل الإنساني بصفة عامة والأدبي منه على وجه الخصوص تبدو بديهية إلى حد كبير، لكن تظل محاولة تبرير سلوك أدبي بعينه من خلال حالة نفسية بعينها يتم الخروج بها من خلال متابعة استقرائية متأنية لسيرة المبدع وتمرير ذلك؛ بوصفه يقينًا تظل مسألة نسبية ومجال خلاف ولا تخرج عن كونها افتراضًا لا يحظى باتفاق؛ لأن الجانب النفسي للإنسان عمومًا يبدو معقدًا إلى حد بعيد ولا يمكن وضع محددات ثابتة يمكن الارتكان إليها في السعي إلى كشفه ووضع قواعد يقينية لا مجال للطعن فيها في محاولة شرحه وتأويل ما يجري فيه وما ينجم عنه من أفعال.
- انظر: ك.ج. يونج، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة، طبعة 2003م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الفصل المعنون بـ« علم النفس والأدب»، من ص251 إلى ص281.

(1) يأتي ذكر الراوي في «الوعد الحق» لابن سعد في سياق حديثه عن جانب من أحداث الفتنة الكبرى والخلاف الذي نشب بين فريقين عظيمين من المسلمين، على رأس الأول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعلى رأس الثاني: معاوية بن أبي سفيان، والمصير الذي لاقاه عمار بن ياسر اتساقًا مع نبوءة أنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم حال حياته وحياة عمار « تقتل عمارًا الفئة الباغية...»...كان عمار على رأس كتيبته يوم قُتل، وكان ذو الكلاع الحميري من أصحاب معاوية على رأس الكتيبة المواجهة لعمار، فقُتِل كلاهما، وتحدث ابن سعد عن أصحابه أن عمر بن شرحبيل أبا ميسرة رجلا من أصحاب عبد الله بن مسعود ومن خيرهم قال: رأيت في المنام روضة خضراء وفيها قباب مضروبة فيها عمار، وقباب مضروبة فيها ذو الكلاع، فقلت: كيف هذا وقد اقتتلوا؟! فقيل: وجدوا ربًّا واسع المغفرة».
- د.طه حسين، الوعد الحق، ص175، 176. .

بـدأت تظهـر علـى السـاحة الثقافيـة العربيـة منـذ القـرن الثانـي الهجـري، وفـي هـذا المصنـف الجامـع عبـر أقسـامه المتعـددة حشـد لمعلومـات مهمـة تتصـل بالنبـي -صلـى الله عليـه وسـلم- وسـيرته وبحيـاة العـرب فـي جاهليتهـم، وبطبقـات الصحابـة وبطبقـات التابعيـن[1].

- بعيـد قـد يتصـل بأحـد مرامـي طـه حسـين فـي سـعيه بمثـل هـذه النوعيـة من الإصـدارات إلـى ارتقـاء منبـر المدافعيـن عـن الهويـة والانحيـاز إلـى جانـب تيـار مـا سـمي فـي النصـف الأول مـن القـرن العشـرين بتيـار المحافظيـن (تيـار التأصيـل) الداعـي إلـى الارتبـاط بالتـراث والدفـاع عنـه فـي مواجهـة تيـار آخـر تنـزع نظرتـه إلـى التطـرف فـي دعوتـه إلـى الارتبـاط بـكل وافـد آت مـن الغـرب تحـت شـعار التجديـد والتحديـث، وقـد نسـافر مـع طـه حسـين إلـى مـا هـو أبعـد مـن ذلـك بالإشـارة إلـى عامـل نفسـي فـردي يتصـل برغبـة قـد سـكنته تتعلـق بمحاولتـه تبييـض وجهـه إزاء مـن انتابتهـم شـكوك حـول موقفـه مـن القـرآن والسـنة، بـل ومـن إيمانـه، إضافـة إلـى موقفـه مـن التـراث الأدبـي للمجتمـع العربـي، ممثـلاً فـي الشـعر الجاهلـي تحديـدًا بعـد مـا ترتـب علـى كتابـه «فـي الشـعر الجاهلـي» مـن ردود أفعـال توسـلت باللغـة لتـرد عليـه. [2]

وامتـدادًا لهـذا الافتـراض الأخيـر يمكـن تفسـير علـة البـدء بهـذه الآيـة مـن القـرآن الكريـم فـي مسـتهل «الوعـد الحـق» «وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا مِنكُـمْ وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَـاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِـي الْأَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِيـنَ مِـن قَبْلِهِـمْ وَلَيُمَكِّنَـنَّ لَهُـمْ دِينَهُـمُ الَّـذِي ارْتَضَـىٰ لَهُـمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُـم مِّـن بَعْـدِ خَوْفِهِـمْ أَمْنًـا ۚ يَعْبُدُونَنِـي لَا يُشْـرِكُونَ بِـي شَـيْئًا ۚ وَمَـن كَفَـرَ بَعْـدَ ذَٰلِـكَ فَأُولَٰئِـكَ هُـمُ الْفَاسِـقُونَ»[3]، واختتـام العمـل بهـذا النـص: « وأطـرق القـاص حيـن بلـغ هـذا الموضـع مـن حديثـه إطراقـة طويلـة، حتـى ظـن سـامعوه أنـه لـن يقـول شـيئًا، فهمـوا أن يتفرقـوا، ولكنـه رفـع رأسـه إليهـم وتـلا عليهـم قـول

(1) لدكتور أنور محمود زناتي المتخصص في التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس مقال بعنوان: كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، على موقع اتحاد الكتاب والمفكرين العرب المسمى (الألوكة) على شبكة المعلومات الدولية يقدم من خلالها قراءة موجزة للبنية التفصيلية لمصنف ابن سعد، وفي هذه المقالة يكشف عن صلة ابن سعد وتأثره بمؤلف أسبق منه في الزمن؛ ألا وهو الواقدي في كتابه الطبقات ..www.alukah net/culture

(2) ولعل «الوعد الحق» في هذا السياق يعد مرحلة لاحقة واستكمالاً لأعمال سابقة، تظهر ناتج تأثر طه حسين بواقعه ومحاولته الدفاع عن نفسه مما لصق بها من تهم وصلت إلى حد تكفيره؛ كأنه قد أراد أن يوجه رسالة إلى نفسه وإلى الغير الكائن في العالم الخارجي مفادها أن الذي تغلب على هذه الصعاب قادر على أن يتغلب على أكثر منها؛ وهو ما يعد نوعًا من أنواع التسرية وغرضًا من أغراض الكتابة الذاتية.

(3) سورة النور: الآية: 55. وقد ورد هذا النص القرآني قبل بدء الوحدة السردية الأولى من الرواية، ص9.

الله عز وجل « وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ» ثم قال بعد أن سكت سكتة قصيرة: صدق الله وعده، لقد أورث هؤلاء المستضعفين أرضه.. وجعلهم أئمة للناس ما عاشوا، حتى إذا اختارهم لجواره وآثرهم بنعيمه جعلهم ذكرًا خالدًا، وسيرتهم رضا، وحياتهم قدوة صالحة وأسوة حسنة؛ فهم أئمة للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[1]

إن اختيار هذا التركيب الوصفي الذي يعد بنية لغوية ناقصة «الوعد الحق» عنوانًا لهذا العمل يحيل إلى علاقة إجمال وتفصيل يقوم عليها بناؤه من الداخل؛ فما بين الوعد الوارد في آية النور في الاستهلال، والختام المصدق لها المرتبط بنص سورة القصص الذي وظفه راوي طه حسين وعبر عنه بعلامة لغوية هي كلمة « القاص»[2] تقع تفاصيل سردية تشير إلى أزمنة وأمكنة وشخوص لها حضور مرجعي تاريخي مؤكد يكشف بجلاء تقاطع سياقات ثلاثة:

- سياق الحدث التاريخي المدون في مصنفات قد أعدت لهذا الغرض تحديدًا، مثل:

(1) سورة القصص، الآيتان: 5، 6، وقد ورد هذا النص القرآني في الوحدة السردية الأخيرة من الرواية، ص176.. تشجع هذه الصياغة على تساؤل مفاده: هل السارد بتمثله لهذه الشخصيات التي وقع عليها فعل القهر من قبل سلطات أعلى بسبب مواقفهم ومخالفتهم السائد جرتهم إلى هذه المعاناة يقود إلى حال طه حسين نفسه في واقعه، الذي يبدو كأنه يعزي نفسه بهذه القصص؛ لكي يصبر، وأنه ليس أول من وقع عليه فعل ضعف وإذلال؟

(2) في مصطلحات علم السرد الحديث الذي يعد جيرار جينيت رائده من خلال الدرس التطبيقي المتأني الذي قدمه لرواية «البحث عن الزمن المفقود» للكاتبة مارسيل بروست هناك مسافة سردية تفصل بين كل من الكاتب في عالم الواقع - الذي يسمى المرجع تأسيسًا على حديث فردينان دي سوسير في كتابه الشهير محاضرات في علم اللغة العام عن العلامة اللغوية التي تتكون من دال (لفظ) ومدلول (معنى يتصل في صياغته بالحالة الذهنية والشعورية للمتلقي من جانب، ومن جانب ثان يرتبط بشيء له وجود في العالم المعيش) وعلى ذلك بدأ ينتشر فيما بعد في الدرس اللغوي/اللساني الحديث والدرس النقدي قناعة مفادها أن للعلامة حضورين: ذاتي ذهني ومرجعي موضوعي - وعالم الفن الذي بداخله يصاحب المتلقي كائنًا خياليًا مصنوعًا اسمه السارد/الراوي القائم بعملية القص نيابة عن المؤلف ويتخذ لنفسه عند قيامه بهذا السلوك هيئات عدة: من الخلف (العليم) عندما لا يسمع المتلقي إلا صوته فيراه متحكمًا بدرجة رئيسة في منظومة السرد يميل إلى استخدام ضمير الغياب بأنواعه وهو يقدم للشخصيات عند وصفه لها وعند إنجازها للحدث، الرؤية من الأمام أو الرؤية المصاحبة التي ترتبط بأسلوب أو بصيغة الرواية بضمير المتكلم الذي يقص عن نفسه وتتصل هذه الهيئة بالحكي السيري أو سرد السيرة الذاتية؛ فنرى تماهيًا بين مستويين من مستويات السرد هما مستوى التمثيل ومستوى الرواية؛ فالراوي السيري ينجز الدورين معًا من خلال قيادته لقاطرة الحدث صناعةً وروايةً، وهناك الراوي المسرحي أو ما يسمى بصيغة الرؤية من الخارج عندما ينسحب الراوي من ساحة الحدث انسحابًا ليس مطلقًا، لكنه يسعى إلى توفير مساحة أكبر للشخصيات للحضور المباشر أمام المتلقي من خلال منطوقها وحواراتها التفاعلية الدائرة فيما بينها.
- انظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، الطبعة الثانية، 1997م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، من ص254 إلى ص269.

طبقات الواقدي، الطبقات الكبرى لابن سعد..وغيرهما.

- النص القرآني الذي تدور في مداره هذه المادة التاريخية؛ بوصفه المتسبب فيها بالنظر إلى قضية النبوة والبعث والدعوة المرتبطين بها وما ترتب على كل ذلك من نتائج ترصدها مصنفات تاريخية شهيرة كهذه التي تم ذكرها

- ومن بعد هذه المصنفات أعمال تحظى بحضور خاص في البناء والتشكيل، كـ «الوعد الحق» لطه حسين؛ إذًا فنحن بصدد: تاريخ، ونص مقدس، وأطروحة توظف الاثنين معًا «الوعد الحق».

ومن ثم فإن ما يمكن تسميته بجماليات الاستقبال المتصلة بالمؤلف واتصاله الواعي بعالمه تقدم لنا عبر عمله هذا المصنوع دلالات نرصدها عبر مستويات عدة:

- الأول: قراءة يمكن نعتها بالمُضارِعة لها قدرة التجدد والاستمرار، تتعلق بواقع معيش وما يفرضه عليها من أثر يترتب عليه سلوك تعبيري مخصوص، نموذجه «الوعد الحق».

- الثاني: ننتقل إلى قراءة ثانية تتمثل في هذه الصلة الإيجابية بالتاريخ، واقتناص جانب مما يتضمنه وإعادة تشكيله في بنية لغوية مغايرة، واختيار مقطع بعينه من هذا التاريخ دون غيره تحكمه سلطة فاعلة موجهة لوعي الكاتب وتتصل بلا شك بالوجه الأول وما يتصل به من ملابسات.

- الثالث: توظيف النص القرآني بما يخدم الرؤية التي وضعها طه حسين لنفسه وأحالها إلى مخطط قابل للتنفيذ، وفي هذا التوظيف يمكن القول: إننا بصدد عملية تأويل لهذا النص تأتي بالتوازي مع نشاط الراوي في تقديم الحدث وفي الانتقال به من البدايات وصولا إلى لحظة التنوير التي حاول فيها هذا الراوي الالتحام بآيتي سورة القصص الواردتين في ختام الوحدة التاسعة والعشرين الأخيرة في الرواية، وعلى القارئ إذًا أن يرحل ذهنيًا مع راوي طه حسين ليتأكد ويصل إلى عتبة اليقين بصحبة هذا الراوي، وتتجلى في جدارة الموصوف «الوعد» ومتعلقاته (الاستخلاف والتمكين) بالصفة التي لحقت به «الحق»؛ فما بين الموصوف والصفة مسافة درامية على هذا القارئ أن يقطعها عبر وحدات سردية عددها تسع وعشرون وحدة؛ ليلتقي مع الراوي عند نقطة الختام التي تحمل في طياتها حكمًا وإقرارًا وتصديقًا ويقينًا.

- **طه حسين والعالم: الاستقبال والاستقبال المضاد**

تأسيسًا على التصور السابق يمكن القول في علاقة طه حسين مع بيئته وعلاقة من في بيئته معه: إننا بصدد نوعين من الاستقبال من العالم، نضعهما في هذين الملفوظين (الاستقبال والاستقبال المضاد)، وبالوقوف عند الملفوظ الأول يمكن الوقوف عليه من خلال محددين:

أ. الاستقبال المتصل بهيئة طه حسين الجسدية (العمى) والاجتماعية (الفقر والجهل في محيطه في بدايات حياته) قد تركت آثارًا تظهر في عدد من أعماله الأدبية والفكرية التي تشير إلى هذه الحال المؤسسة على الشعور بألم النقص والفقد والاحتياج وما قد يفضي إليه من إحساس بالتمرد والرفض، مثل: «الأيام»، و«المعذبون في الأرض»، و«الحب الضائع»، و«شجرة البؤس»، «ذكرى أبي العلاء» ، و«مع أبي العلاء في سجنه».

ب. الاستقبال المتصل بكتابه «في الشعر الجاهلي» وما أحدثه من ردود فعل سلبية تجاهه يعد بمثابة سبب أفضى إلى نتائج تعبيرية تمثلت في عدد من أعماله، مثل: «على هامش السيرة»، و«الوعد الحق»، و«الشيخان» ويمكن القول: إن طه حسين يسعى من خلال مثل هذه النوعية من الأعمال إيصال رسالة يجادل بها ويفند ما قد علق في وعي معارضوه من مواقف سلبية تجاهه.

أما الاستقبال المضاد فإن الحديث عنه يتمحور حول فكر طه حسين عمومًا وكتابه «في الشعر الجاهلي» على وجه الخصوص الذي أثار موجة رفض لم تتوقف حتى بعد وفاة طه حسين، وقد ترتب عليها عدد من الأعمال الأدبية التي انبرت للرد عليه، يمكن الوقوف على عناوين عدد منها على سبيل المثال لا الحصر:

- «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» لمحمود محمد شاكر (أبو فهر).
- «تحت راية القرآن» لمصطفى صادق الرافعي.
- سلسلة تاريخ الأدب العربي، «العصر الجاهلي» لشوقي ضيف.
- «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» لناصر الدين الأسد
- «طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام»، و «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي.

- «نقد كتاب الشعر الجاهلي» لمحمد فريد وجدي
- «الشهاب الراصد»، د. محمد لطفي جمعة
- «أسطورة الأدب الرفيع» لعلي الوردي[1]

بناءً على هذا الطرح يمكن التعقيب بالقول: إن هذه المنجزات التعبيرية تعد بمثابة عملية إنتاج لمعنى نتجت عن علاقة تفاعل انعقدت بين قارئ ونظام، هذا النظام ينقسم إلى قسمين: نظام غير لغوي (العالم الخارجي المحيط بالذات المعنية بالتعبير باللغة) ونظام لغوي (منجز لغوي كان بمثابة دافع أو سبب محفز لعملية إنتاج لغوية أخرى تعد بمثابة رد فعل له وحكم صادر بناءً على فهم وتحليل وتأويل)، يأتي هذا الطرح متسقًا مع ما أفرزته نظريات القراءة المصاحبة لما يسمى في مرحلة ما بعد الحداثة في التعامل النقدي مع النصوص بـ(مناهج التلقي) [2]؛ فالحديث عما تم تسميته بـ(الاستقبال والاستقبال المضاد) من

(1) ولا شك في أن الآثار اللغوية الناجمة عن أعمال طه حسين التي يأتي في القلب منها كتابه «في الشعر الجاهلي» سواء ما ألفه هو أو ما كتب عنه تعليقًا على كتاباته عمومًا وعلى كتابه هذا «في الشعر الجاهلي» التي تمت معالجتها في إطار ما أطلق عليه (الاستقبال والاستقبال المضاد) تحيل إلى المخطط سداسي البناء الذي أشار إليه رومان جاكوبسون أحد رواد مدرسة الشكليين الروس، الذي حدد للغة ست وظائف تؤديها بالنظر إلى منظومة الاتصال التي يقوم عليها أي فعل كلامي وتتمثل في: مرسل ورسالة ومرسل إليه وسياق وقناة اتصالية حاملة للرسالة، وشفرة؛ فجعل لكل عنصر من عناصر هذه المنظومة وظيفة يؤديها؛ فللمرسل الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، وللرسالة الوظيفة الأدبية أو الشعرية، وللمرسل إليه الوظيفة الإفهامية أو التأثيرية التي تكشف عن الأثر الذي غادرته فيه رسالة المرسل وتحول إلى سلوك بعد ذلك، وللسياق الوظيفة المرجعية، وللقناة الاتصالية الوظيفة التنبيهية، وللشفرة الوظيفة الميتالغوية
- انظر: رومان جاكوبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، الطبعة الأولى، 1988م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المبحث الخاص باللسانيات والشعرية، من ص 23 إلى ص36.
ومن ثم فإن معالجة الفعل الاستقبالي لدى طه حسين ولدى من ناصبه الرفض والاعتراض يمكن دراسته في ضوء مصطلح الوظيفة التأثيرية تحديدًا الذي تحدث عنه جاكوبسون في تناوله لمخطط وظائف اللغة، وعليه يمكن القول على سبيل المثال: إن عمل كالوعد الحق يعد بمثابة رد فعل لغوي على فعل لغوي يعكس الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية يتمثل في كتابه «في الشعر الجاهلي»، وإن كتاب مثل « تحت راية القرآن» الذي تم النظر إليه في ضوء ما يسمى بفعل الاستقبال المضاد يقدم رد فعل لغوي رافض لفعل لغوي يتجلى في هذا الكتاب نفسه لطه حسين « في الشعر الجاهلي».
مع كل ما سبق يبدو أن طه حسين قد استحاب لما تعرض له من أذى وإكراه؛ فأعاد لاحقًا نشر كتابه عن الشعر الجاهلي بصياغة مغايرة تحت عنوان جديد هو «في الأدب الجاهلي»، ويمكن استشفاف دلالة من هذا التحول، مفادها أن السياق لم يكن ملائمًا لهذا الفكر؛ كأنه قد استجاب رجاء أن تمر الأزمة. ولعل تركيزه فيما بعد في سيرته الذاتية «الأيام» على مرحلة الأزهر في حياته يحمل ضمنيًا مغازلة لمن هاجموه.

(2) أشار الدكتور حامد أبو أحمد مؤلف في حديث تفصيلي إلى نظريات التلقي والمقولات المتصلة بقراءة النصوص وتأويلها من خلال معالجة استقرائية لملابسات خروجها ونشأتها الغربية ورائديها في ألمانيا: هانز روبرت ياوس وفولفجانج أيرز وما صاحب عملهما من مصطلحات تتعلق بالحالة التفاعلية بين القارئ والنص، مثل: أفق التوقعات، واستجابة القارئ للنص، وإنتاج المعنى، والخبرة الجمالية، والقراءة الثانية..إلخ

خلال الوقوف على طه حسين والعلاقة التفاعلية القائمة بينه وبين سياقه الواقعي وتبادل كل طرف في هذه العلاقة موقعي الإرسال والاستقبال، وما نتج عنها من أعمال تقود إلى موجودات لغوية تم ضرب الأمثلة على عدد منها من خلال الطرح السابق؛ ففقره وفقده لبصره (سياق غير لغوي كائن في عالمه) يعد عاملاً من عوامل ظهور عدد من أعماله كـ «الأيام» و«المعذبون في الأرض». وكتابه «في الشعر الجاهلي» (سياق لغوي) قد يُنظر إليه؛ بوصفه سببًا أدى إلى صدور عدد من أعماله التي تخفي وراءها محاولة لإزالة وعي سلبي تشكل لدى قطاع من القراء تجاهه. وهذا السياق اللغوي ذاته – أي كتابه «في الشعر الجاهلي» – كان بمثابة فاعل أدى بما نجم عنه من آثار إلى ولادة عدد من المصنفات، مثل: «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، و«تحت راية القرآن» وغيرهما.

نخلص مما سبق إلى وضعية الاستقبال من العالم بشقيه اللغوي وغير اللغوي تبقى ذات فاعلية وقدرة بما لها من قيمة في تشكيل وعي يُعول عليه في تحول الذات من هذه الوضعية إلى وضعية المرسل/الباث الذي يقوم بما يمكن تسميته بعملية التفات من هذا العالم ومن الموقع الذي يشغله فيه ليؤدي دورًا في عملية إنجاز لغوي هي بمثابة معنى – وفق المصطلح الخاص بنظرية القراءة وتلقي النصوص – يعكس في حضوره هذه الحالة التفاعلية بين هذه الذات و بعض ما يقع في عالمها، ويقدم في الوقت ذاته أوعية دلالية قد تتجاوز مرادات الكاتب الذي أضحى مرسلا مؤلفًا؛ لتصير انعكاسًا لقناعات المتلقي المتصدي لعمل هذا الكاتب بالقراءة ولخبراته المرتبطة بحضوره داخل عالمه وبملابسات ظرفه الواقعي الذي يحياه؛ لذا تظل مسألة إنتاج المعنى أسيرة خبرتين:

- **الأولى:** خبرة الكاتب حال كونه مستقبلاً قارئًا لما في عالمه.
- **الثانية:** خبرة المتلقي التي تتأثر برصيده المعرفي وخبراته وملابسات الحالة الواقعية التي يعيشها.

فالنص إذًا تبعًا لهذه الرؤية معنى متولد من قبل الكاتب، أما تأويل القارئ له النابع من فهمه ومن الحكم الذي يصدره عليه بمثابة معنى المعنى، أو معنى ثانٍ أو رد فعل ناجم

- انظر: د. حامد أبو أحمد، الخطاب والقارئ (نظريات التلقي، تحليل الخطاب، ما بعد الحداثة)، طبع في سلسلة كتاب الرياض، 1996م، ثم في أعيد طبعه في القاهرة من خلال دار النسر الذهبي للطباعة، دون تاريخ، ويمكن الوقوف داخل الكتاب على الفصل الخاص بنظرية التلقي في المانيا، من ص69 إلى ص129، اعتمادًا على النسخة التي أعيد طبعها في القاهرة.

عن رد فعل أول مملوك للكاتب .

- **التشكيل الثنائي لفعل الاستقبال من العالم**

وفي «الوعد الحق» يمكن الإفادة من مقام الاستقبال الذي يشغله طه حسين، وقد استطاع من خلاله قراءة واقعه وما به من ملابسات وقراءة جانب من التاريخ العربي الإسلامي في توسعة هذا المقام بالانتقال به من الخارج المتصل بالمؤلف إلى الداخل لنقف معه على شريحتين من المتلقين تعكسهما شخصيات الرواية ويمكن تصنيفهما على النحو الآتي:

- الشريحة الأولى: شريحة المتلقين لهذا الفعل الذي يمكن نعته بالثوري (فعل النبوة والدعوة إلى معتقد ونظام حياتي جديد مصاحب له) وتتجلى في النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وسار على نهجه واتبع ما أنزل إليه من وحي (فئة الصحابة). وفي صنيع هذه الشريحة ثورة على نظام حياتي راسخ منذ زمن طويل يمارس طقوسه في العبادة وما يصاحبها من معاملات حياتية وفق آلية اكتسبت قدسية بحكم رحيلها من جيل إلى جيل ورسوخها في العقل والسلوك الجمعيين؛ ألا وهي آلية الاتباع؛ أي الاتصال المبني على الوفاء والإخلاص الشديدين لما كان عليه الآباء والأجداد من معتقد ومن سلوك مترتب عليه.

- الشريحة الثانية: تلقت هذا الفعل الثوري بطريقة سلبية تقوم على رفضه قلبًا ولسانًا وتحويل هذا الرفض إلى حزمة من الأفعال يمكن تحديدها في: تعذيب، اضطهاد، طرد، سخرية، تلفيق وادعاء، ثم حرب وعدوان بعد ذلك، وكان لهذه الشريحة في بدايات خروج هذا الفعل الثوري والقائمين عليه الحضور الأكبر والأكثر عددًا والغلبة والقدرة على التأثير؛ بحكم عوامل تتعلق بآلية التفكير (مفهوم الجاهلية وما يتصل به من معانٍ)، وبالعامل السياسي المتعلق بسطوة قريش بحكم ثقلها الاقتصادي والمعنوي الديني المرتبط بمقامها حول البيت على ما له من مكانة وقدسية في نفوس أهل شبه الجزيرة العربية جميعًا. وتأمل هذه الشريحة يقود إلى معالجة مسألة الاستقبال المتعلقة بمسلكها من زاويتين: الأولى: التلقي المبني على التأييد والقبول لممارسات شعائرية وحياتية سابقة على زمن البعث والنبوة، الثانية: التلقي السلبي المبني على الرفض لمقتضى ما جاء به نبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم فناصبته العداء والتعقب حتى حين، وهو

الأمر نفسه الذي يمكن معه فهم سلوك الشريحة الأولى في علاقتها بما يسمى بدين الآباء والأجداد بعد تحولها عنه وثورتها عليه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به.

إننا إذًا في اقترابنا من طه حسين ومن عالمه المكتوب هذا نستطيع تقسيم فعل الاستقبال إلى نوعين:

- الأول: فعل استقبال خارجي مرجعي يتعلق بقراءة المؤلف طه حسين للتاريخ عبر عدد من مصنفاته، كالطبقات الكبرى لابن سعد الذي أشار إليه عبر راويه بشكل عابر في الوحدة الثامنة والعشرين من «الوعد الحق»، وبناءً عليه يظهر:
- الثاني: فعل استقبال داخلي؛ أي داخل النص المُنجز من قبل هذا المؤلف، وفيه نجد هذا الحضور الثنائي لشريحتين من الشخصيات ذات الحضور التاريخي المعلوم، وفي البنية السردية الممثلة لهذا الفعل نجد هذه المقابلة الدرامية واضحة بين نسقين فكريين، يدخلان في صراع ذي أوجه عدة تتنوع في تجليها بين الفعل الكلامي والفعل غير الكلامي الموظف لجوارح أخرى.

ويلاحظ في النصف الأول من العمل من الوحدة الأولى حتى الوحدة الثالثة عشرة ميل الراوي إلى فكرة الأبنية القصصية المتجاورة، وفيه يتضح تأثره بأسلوب تأليف كتب التراجم والسير؛ فمن الوحدة الأولى حتى السابعة يركز الراوي حديثه على المستضعفين ياسر بن عامر والد عمار وابنه عمار وزوجه سمية[1]، وفي الوحدة الثامنة يصاحب صهيبًا الرومي[2]، وفي الوحدة التاسعة يلتقي بالحبشي بلال بن رباح[3]، وفي الوحدة العاشرة يقدم خبابًا بن الأرت[4] وفي الوحدة الحادية عشرة يقف مع عبد الله بن مسعود[5] وفي الوحدة الثانية عشرة يحكي عن سالم مولى أبي حذيفة[6]، وفي الوحدة الثالثة عشرة

(1) انظر: طه حسين، الوعد الحق، من ص9 إلى ص43.
(2) انظر: السابق، من ص43 إلى ص51
(3) انظر: السابق، من ص52 إلى ص73.
(4) انظر:السابق، من ص74 إلى ص82.
(5) انظر: السابق، من ص82 إلى ص92.
(6) انظر: السابق، من ص93 إلى ص102.

يحكي عن عبد الله بن سهيل بن عمرو[1]، ثم تأتي وحدات السردية المتبقية جمعًا وحشدًا لهذه الشخصيات كلها ولغيرها؛ فلا تحظى فيها شخصية بمساحة حضور أوسع مقارنة بغيرها، كأنها البطل، ولا شك في أن هذه السمة التأليفية تؤكد هذه النزعة المحتفية بالتراث ليس فقط على مستوى الارتباط بأحد مضامينه، لكن أيضًا على مستوى الشكل وطريقة البناء؛ فطه حسين عبر راويه يقدم لنا بناءً سرديًا، يمكن القول عنه: إنه بناء يتقاطع عنده فنان: فن الرواية بنزوعه نحو الوحدة الموضوعية، وفن القصة القصيرة الذي يحتفي في فضاء نصي قصير من ناحية الكم بشخصية بعينها تحظى بتركيز واهتمام في التقديم السردي لها أكثر من غيرها[2]. لكن ما يربط الوحدات جميعها في لحمة فنية واحدة هذا الصوت الحاكي الذي يؤدي دور السارد الرئيس المهيمن على منظومة القص من البدء حتى الختام، يساعده في عمله ظاهرة تكرار حضور عدد من الشخصيات، في مقدمتها النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ إضافة إلى سلطان الفكرة المهيمنة على هذا العالم وتتجلى في مسألة النبوة ورد الفعل المصاحب لظهورها بين مؤيد ورافض والحدث الناشئ عن هذه الحال في الواقع وقد تلقفه عالم الفن ونموذجه «الوعد الحق» ليعيد إنتاجه وفق آلية خاصة في البناء ارتضاها المؤلف وشرع ينفذها بواسطة راويه. [3]

---

(1) انظر: السابق، من ص103 إلى ص110.

(2) إن «الوعد الحق» تبدو أقرب إلى فن التراجم والسير التاريخية، وإن كانت في سياق أدبي، مع الاحتفاظ بالمكونات التاريخية المحفزة، كالوقائع المرجعية والأسماء الحقيقية.

(3) في إطار فكرة الوحدة الموضوعية التي تميز البنية الحكائية المعاصرة يتحرك الحدث ومعه تنتقل الشخصية من خلال الأسلوب المعتمد من قبل الراوي في تقديمه لها انتقالا جماليا يخدم فكرة الصراع الذي هو في جوهره عبارة عن تفاعلات تنشأ نتيجة دخول الشخصيات - وفق ثنائية (الدافع والغاية) التي تبرر وتكشف جوهر الفعل الذي تقوم به كل شخصية – في علاقات جدلية تقوم على تقاطع واتفاق حينًا، وتعارض واختلاف حينًا آخر، وعلى إثر هذه الحال يظهر ما يسمى بتتابع الحدث الروائي الذي يتخذ في حركته مسارات قد تتفق والمسير التقليدي للزمن وانتقاله الموافق لما في الواقع، أو ينحو بواسطة الراوي منحى ذا خصوصية تضفي على طقس العمل الحكائي قدرًا من الإثارة والتشويق وتدعو إلى مزيد من شد انتباه القارئ؛ فيميل إلى الاسترجاع من خلال الانطلاق من لحظة حاضرة عودة إلى سابق عليها، أو ينطلق من حاضر إلى مستقبل من خلال صيغ فنية عدة يلجأ إليها الرواي في عمله، كآلية الحلم (الرؤية المنامية) على سبيل المثال، أو آلية التوقع/التنبؤ، ومن الرحيل إلى المستقبل من نقطة مضارعة أو العودة إلى ماض تتولد حالة يطلق عليها الفجوة الزمنية، أو المسافة الزمنية التي قد تفصل بين حاضر وماضٍ مستدعى بآلية التذكر وحديث النفس والخواطر، أو بين حاضر ومستقبل بطريقة الحلم أو التوقع والتنبؤ؛ ومن ثم تتأثر مسألة تتابع الحدث الروائي وحركته تبعًا للآلية الموظفة من قبل الراوي التي قد لا تسير على وتيرة واحدة داخل عمله، المهم أنه بهذا التتابع يتطور مسار الحديث بمتابعة القارئ له فينتقل من طور الجزئيات إلى طور أكثر اتساقًا هو طور الرؤية الكلية للحدث.
- انظر: د. مراد عبد الرحمن مبروك، آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، سلسلة كتابات نقدية، مارس 2000م، الهيئة المصرية العامة للثقافة، القاهرة، من ص142 إلى ص144.
- يراجع في مصطلحات: الاسترجاع والاستباق والمسافة جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم

والملاحظ في طريقة الراوي في اختيار شخصياته أنه يضع لنفسه قانونًا يسير عليه، يقوم على أمرين، الأول: تطور حال الشخصية بتحولها من الكفر إلى الإسلام، الثاني: حال الاستضعاف الذي تبدو عليه وما ترتب عليه من آثار سلبية تضفي على حكايتها طابعًا مأساويًا؛ فلم يسلط الضوء واضحًا على شخصيات مثل أبي بكر وعثمان وعلي، وإن كان قد ورد ذكرهم في ثنايا الحدث؛ لأن لها عصبيات عشائرية تحميها، لكنه يقترب بنا أكثر من شخصيات ليست في منزلة السادة النبلاء بل تلتصق بوضعيات اجتماعية أقل وأدنى وأضعف شأنًا؛ فكان منها الحليف كياسر بن عامر والد عمار، وكمسعود والد عبد الله بن مسعود، وكان منها الرقيق الذين كانوا في رتبة العبيد والإماء كبلال وصهيب وسالم وسمية وخباب[1]

إن هذه السمة المميزة لمبدأ الانتقاء أو الاختيار المعتمد من قبل السارد في «الوعد الحق» يؤكد هذا التصور الذي يشير إلى رغبة طه حسين وقصده التسرية عن نفسه في المقام الأول بتركيزه على هذه الفئة المستضعفة أكثر من غيرها.

إن راوي طه حسين الذي يعيد صياغة مشهد من التاريخ العربي القديم وترتيبه وفق رؤية مخصوصة يركز عدسته على شريحة كان لها وجود في البناء الاجتماعي قبل ظهور

وآخرون، صفحات، 60، 76، 178.
وتتبلور هذه الرؤية الكلية مع تزايد خبرات القارئ واتساع أفق وعيه ووصوله إلى عتبة نضج وإلمام مع اقتراب العملية الحكائية من نهايتها؛ لذا تصبح فرص التحول من رتبة القراءة البريئة وما يصاحبها في مراحل لاحقة من محاولة فهم وتحليل إلى رتبة أعلى هي محاولة الحكم والوصول إلى نتائج مع نشاط تأويلي محتمل قد يقوم به انسجامًا مع عتبة النضج وبالاقتراب أكثر من العمل مع طول مدة الالتقاء والاتصال به.

(1) يمكن الوقوف على معمار البناء الاجتماعي العربي زمن ما قبل الإسلام من خلال معالجة الراوي في «الوعد الحق» للحدث العمدة في الرواية؛ ألا وهو حدث النبوة وما نجم عنه، وفيه نتوقف عند هذه الطبقات الثلاثة التي تشكل قوام الجماعة العربية المقسمة إلى قبائل في مقامها الحضري داخل القرى أو مقامها البدوي البدوي:
- طبقة النبلاء أو السادة صاحبة الامتيازات والملكية والثراء.
- طبقة الموالي الذين يرتبطون بالقبيلة بعلاقة تقوم على الحلف أو الجوار أو الاصطناع.
- طبقة العبيد والإماء المجلوبين بواسطة الغزو أو الإغارة ويعتمد تنقلهم من حي إلى حي أو من مكان إلى غيره على مالكهم وعلى البيع والشراء بوصفهم بضاعة قابلة للتداول شأنهم شأن المتاع.
- ويلحق بهذه الفئات فئة الخارجين عن القبيلة ونظامها ممن تمردوا على قانون القبيلة فتعرضوا للطرد؛ فظهر في الجاهلية ما عرف بظاهرة الصعاليك، ونستطيع أن نقول: إنه مع دخول الإسلام وما أحدثه من أثر عميق في نظام القبيلة ظهرت فئة تنضاف إلى فئة الصعاليك ألا وهي فئة الصابئين؛ أي الذين تركوا دين الآباء والأجداد وخرجوا عن وصاية الأب أو الأم باتباعهم المعتقد الجديد، كعبد الله بن سهيل بن عمرو الذي أشار إليه راوي طه حسين في هذا العمل وكغيره ممن لم يتعرض لهم الراوي بإشارات متأنية عميقة كمصعب بن عمير وغيره.
- يراجع في الأحوال الاجتماعية والمعيشية للعرب في العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة الخامسة والعشرون، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، من ص67 إلى ص81.

الدعـوة (يمكـن نعتهـم بالعبيـد والمهمشـين غيـر أصحـاب الشـأن فـي داخـل الجماعـة)، وكان لعملهـا الـذي يعكـس روحًـا تواقـة إلـى التغييـر والخـلاص أثـر فاعـل مهـم فـي انتقـال الدعـوة مـن طـور الضعـف إلـى طـور القـوة، ومـن الانحسـار فـي بيئـة مكانيـة محـددة إلـى التوسـع أفقيًـا بالتـوازي مـع كثـرة عدديـة، بعـد أن أذهـل ثباتهـم وصبرهـم علـى ردود الفعـل الخشـنة العنيفـة التـي تعرضـوا لهـا أولئـك الذيـن ناصبوهـم العـداء؛ ومـن ثـم فـإن فعـل الاسـتقبال مـن العالـم فـي شـقه المتصـل بمـن آمنـوا بدعـوة النبـي صلـى الله عليـه وسـلم ونعتـوا لـدى الرافضيـن بنعـت (الصابئـون) يتيـح لهـؤلاء موقعًـا إرسـاليًا يتـرك أثـرًا فـي وعـي غيرهـم؛ فمنهـم مـن يتقبلـه مؤيـدًا طائعًـا، ومنهـم مـن يسـتقبل عملهـم بطريقـة سـلبية تعكـس رغبـة محمومـة فـي بقـاء الوضـع القديـم قبـل ظهـور دعـوة النبـي صلـى الله عليـه وسـلم علـى مـا هـو عليـه، تمامًـا كأبـي جهـل (عمـرو بـن هشـام) الـذي يعـد إحـدى الشـخصيات التـي كان لهـا حضـور كبيـر فـي الوحـدات السـردية لـ «الوعـد الحـق»؛ بوصفـه نموذجًـا يشـخص أيديولوجيـا أو وجهـة النظـر المعارضـة للديـن الجديـد ومـن آمنـوا بـه، وبالتـوازي مـع حضـوره ذي الصبغـة السـلبية يأتـي علـى الجانـب المقابـل شـخصيات أخـرى كان لهـا انتشـار علـى المسـتوى الكمـي والكيفـي بممارسـاتها الفعليـة المؤثـرة والداعمـة لهـذا الفعـل الثـوري (فعـل النبـوة) فـي مقدمتهـم داخـل سـرد طـه حسـين أبـو بكـر (عبـد الرحمـن بـن أبـي قحافـة) المنعـوت بالصديـق.

- **فعل استقبال الراوي في «الوعد الحق»**

إن راوي طـه حسـين الـذي يعـرض لنـا فعـل الاسـتقبال مـن العالـم فـي ثـوب إيجابـي (إيمـان وتصديـق)، وفـي ثـوب سـلبي (إنـكار ورفـض وعـدوان) يقـوم بـدوره هـذا مـن موقـع المنحـاز لرؤيـة بعينهـا، ويكشـف لنـا عـن هـذا الانحيـاز بدايـةً مـن خـلال هـذا النـص القرآنـي مـن سـورة النـور « وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا مِنكُـمْ وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِـي الْأَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِيـنَ مِـن قَبْلِهِـمْ وَلَيُمَكِّنَـنَّ لَهُـمْ دِينَهُـمُ الَّـذِي ارْتَضَـىٰ لَهُـمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُـم مِّـن بَعْـدِ خَوْفِهِـمْ أَمْنًـا ۚ يَعْبُدُونَنِـي لَا يُشْـرِكُونَ بِـي شَـيْئًا ۚ وَمَـن كَفَـرَ بَعْـدَ ذَٰلِـكَ فَأُولَٰئِـكَ هُـمُ الْفَاسِـقُونَ» الآتـي قبـل وحـدة البـدء الأولـى فـي هـذا العمـل السـردي يمنـح الـراوي دور المتنبـئ الـذي يقفـز بأفـق الفكـر إلـى مسـتقبل لـم يحـن أوان مجيئـه بعـد، ومـع هـذا الـدور يضـع نفسـه فـي موقـع الاسـتقبال بـإزاء هـذا النـص القرآنـي ليكشـف لنـا عـن فهمـه الـذي يكمـن فـي هـذا العمـل السـردي المكـون مـن تسـع وعشـرين وحـدة حكائيـة، يأتـي ختامهـا بمثابـة توكيـد فنـي جمالـي يوضـح بجـلاء كيـف يسـتحيل الوعـد إلـى حقيقـة ملموسـة تنحـاز لهـؤلاء المسـتضعفين، وتبرهـن علـى حركتهـم التـي تتخـذ منحـى صعوديًـا مـن هبـوط فـي المعتقـد وتـردٍ فـي المنزلـة الاجتماعيـة إلـى علـو فـي الإيمـان وسـمو فـي المكانـة؛

فقد تحولوا من عبيد مماليك زمن جاهليتهم وبعد إسلامهم مباشرةً، إلى قادة يوجهون ويحكمون، يمكن متابعة ذلك بالنظر – على سبيل المثال - إلى الحركة الدرامية لشخصية عمار بن ياسر في «الوعد الحق»؛ فالوحدات السردية من الأولى حتى نهاية الوحدة السابعة تكشف بجلاء حال الاستضعاف هذا، بالنظر إلى ثنائية طرفيها على النقيض (آل ياسر من جهة وعمرو بن هشام أبوجهل من جهة ثانية)[1]، «ثم نتوقف في الوحدة الرابعة والعشرين والتي تليها - ومعه رفيق في رحلة الكفاح والشقاء هو عبد الله بن مسعود - وقد وصل إلى زمن التمكين؛ لنجده في حال مغايرة تأتي على الضد من سابقتها»[2] ، ويمكن متابعة جانب منها من خلال منطوق الراوي الآتي:

«ونظر عمار بن ياسر فإذا هو أمير لمصر عظيم من أمصار المسلمين وجيش عظيم من جيوشهم، وأكبر الظن أنه استحضر في نفسه ما لقي من الجهد والمحنة قبل أن يهاجر إلى المدينة، وما لقي من الشدة والبأساء مع النبي بعد أن هاجر إلى المدينة؛ فلم يقع هذا كله في نفسه موقعًا غريبًا، وإنما آمن بأن وعد الله حق، ولم يدفعه هذا كله إلى تكبر أو تجبر أو استجلاء؛ لأنه استيقن كما استيقن نظراؤه من أصحاب النبي أن هذه الحياة الدنيا غرور، وأنها فتنة يمتحن بها أولو الحزم والعزم في أنفسهم؛ فمن خلص منها كريمًا نقيًا سليم القلب فهو من الناجين، ومن رتع فيها حتى أرضى غرائزه وشهواته فهو من الذين حبطت أعمالهم وضل سعيهم ، وعجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، واستحضر ابن مسعود في أكبر الظن حياته تلك حين كان راعيًا لغنيمات عقبة بن أبي معيط وقد أدبرت عنه الدنيا بسعيها ودعتها وثرائها ونعيمها، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رضي عن أمانته حين أبى أن يسقيه ويسقي صاحبه من لبن وغنم بن أبي معيط، وذكر أن النبي ائتمنه على سره وضمه إليه وجعله من خاصته، وذكر أن النبي قال فيه ذات يوم:

(1) د.طه حسين، الوعد الحق، من ص9 إلى ص43.

(2) أشار د. محمد مندور في كتابه: في الأدب والنقد في حديث مقتضب عن الأدب والحياة الاجتماعية إلى أن مسألة البؤس أو الشعور بالظلم ليست المحرك الأساسي لسلوك الثورة رغبة في تغييرها، لكن المحرك للتغيير يكمن في الوعي بهذه المأساة وبحتمية التخلص منها، ومن هذه الصلة الرابطة بين البؤس الموجود في الواقع والوعي بوجوده وبضرورة تغييره تصدر وظيفة الأدب الاجتماعية من حيث إنه محرك لإرادة الشعوب، انطلاقًا من حقيقتين ثابتتين هما: إدراك العلاقة بين الأمور المادية في الحياة والمسائل المعنوية المترتبة عليها ذات الصلة بالعقل وتفكيره، ووعي الفرد بما فيه من بؤس، ثم يستطرد مندور في حديثه ليشير إلى أن الحركات الكبيرة التي قامت في التاريخ الحديث كثورة روسيا البلشفية مثلا قد مهد لها الكتاب بعملهم في النفس البشرية تمهيدًا من دونه قد يصير من غير الممكن حصول مثل هذه الحركات.
- انظر: د. محمد مندور، في الأدب والنقد، طبعة 1988م، دار نهضة مصر، القاهرة، المبحث الخاص بالأدب والحياة الاجماعية، صفحات: 36، 37، 38.

« إن ساقه لأثقل في الميزان من أحد»؛ فلم يزده هذا إلا إيمانًا وتثبيتًا وحبًا للأمانة ووفاءً لخليله ونصحًا لأمته، وقد أقام عمار ما شاء الله أن يقيم أميرًا على الكوفة؛ فكان يسيرًا سمحًا..صمت كثير وكلام قليل واختلاط بالناس؛ كأنه رجل من عامتهم، وإقامة للعدل، وحكم بالقسط...سئل ذات يوم في بعض ما يشكل من أمور الناس؛ فقال: «أكان هذا بعد»، قالوا: لا، قال: دعوه حتى يكون؛ فإذا كان تجشمناها لكم... لبث عبد الله بن مسعود في الكوفة..أمينًا على بيت مال الكوفة، معلمًا لأهلها مشيرًا على ولاتها، وقد علم الناس فأحسن تعليمهم، فملأ قلوبهم حبًا له وإعجابًا به، وترك في نفوسهم أقوى الأثر وأبقاه»[1] .

إن البنية السردية للوعد الحق بالنظر إلى هذا الاستشهاد تكشف لنا عن:

- وقوع الراوي موقع المستقبل بإزاء النص القرآني الذي أورده قبل أن يستهل نشاطه في تقديم الحكاية.

- «الوعد الحق» في مجملها بمثابة فهم من قبل هذا الراوي وسعي من جانبه إلى تأويل يعتمد على بحث دءوب في ماض له صبغة تاريخية؛ ليصل من خلاله بالمتلقي إلى محطة التأكيد والتصديق واليقين مع الختام في الوحدة التاسعة والعشرين الأخيرة من الرواية « لقد أورث هؤلاء المستضعفين أرضه وأدال لهم قيصر وكسرى، وجعلهم أئمة للناس ما عاشوا، حتى إذا اختارهم لجواره وآثرهم بنعيمه جعل ذكرهم خالدًا وسيرتهم رضا وحياتهم قدوة صالحة وأسوة حسنة؛ فهم أئمة للمسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[2] .

- الراوي بسكناه موقع المستقبل تجاه النص القرآني، وتحوله إلى موقع المرسل السارد يبدو في هيئة الواعظ المُعَلِّم.

- إن هذا المشهد المروي براوٍ خارجي يأخذنا إلى صوت طه حسين في الواقع الخارجي، الذي يبدو كأنه يخاطب ذاته التي لاحقتها الاتهامات، كأنه يصبرها على الأذى الذي لحقها والمحن التي حلت بها، قائلا لها: كل ذلك سينقضي؛ الأمر الذي كان بالفعل عندما تولى طه حسين وزارة المعارف في حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا في العام 1950م.

(1) د.طه حسين، الوعد الحق، صفحات: 160، 161، 162، 164.

(2) السابق، ص176.

ويمكن من خلال الراوي في «الوعد الحق» الوقوف على عناصر عديدة تصاحب نشاطه في السرد:

- الأول: ميله إلى أسلوب الرواية التقليدي الذي يعتمد على هيمنة السارد على منظومة الحكي في مجملها؛ فلا نسمع إلا صوته هو في أثناء تقديمه للحدث وشخصياته؛ فقليلا ما يمنح لهذه الشخصيات فرصة لحديث مباشر تظهر من خلاله أمام القارئ دون وسيط، ويعد هذا النموذج من روايته بمثابة جزء أو نافذة تأخذنا إلى هذه السمة الغالبة عليه في وحدات الرواية التاسعة والعشرين جميعها دون استثناء.[1]

- الثاني: انسجامًا مع حاله هذا نجده كثيرًا ما يلج إلى داخل الشخصية، ويسمعنا ما يدور في خاطرها وما يتحرك في وجدانها من مشاعر، في محاولة للربط بين سلوك الشخصية الملموس وحالتها الداخلية التي تفرض عليها القيام بأفعال بعينها، كما يلاحظ على سبيل المثال في أسلوب الاستدعاء (التذكر والعودة إلى الماضي)

(1) الحديث عن الراوي وهيئاته في الكتابات النقدية المعنية بالسرد وأشكاله يأتي في سياقات عدة للتناول، من بين هذه السياقات سياق التمييز بين ما أطلق عليه الرواية التقليدية والرواية الجديدة من خلال الوقوف على حد فاصل بينهما يرتبط بالعالم الخارجي المحيط بعملية الإنتاج الفني، هذا الحد يتمثل في اندلاع الحرب العالمية الثانية وما نتج عن قيامها من أحوال تتعلق بالنظرة إلى العالم وجوهر الحياة الإنسانية عمومًا وآلية النظرة إليه والتعامل معه وكيف تتحول إلى إجراء ملموس يكشف عن التحول النفسي والذهني، هذه المسائل ذات الارتباط بحقل مثل حقل الفلسفة والتاريخ والاجتماع قد وجدت بالطبع مكانًا لها في حقل الأدب الذي يأتي في القلب منه الرواية في القرن العشرين؛ ومن ثم فإن المتكأ الرئيس المعتمد من قبل المؤلف؛ ألا وهو الراوي وعلاقته بالشخصية سيتأثر بلا شك وسيكون أداة تعكس عملية التحول هذه التي لم تكن تعني - بنظر متأمل لها - خروجًا كليا كاملا على تقاليد ثابتة في الإنتاج السردي، كما أنها كشفت في الوقت ذاته عن أن بالماضي - الذي تم تصنيفه على أنه كل ما جاء سابقًا على الحرب العالمية الثانية - آليات ازدادت الدعوات إلى استخدامها في تشكيل عوالم سردية جديدة، كتيار الوعي الذي يكشف عن تطور الزمن والحدث في داخل الشخصية بالنظر إلى حالتها النفسية وكالزمن المتداخل الذي يجنح بعيدًا عن منطق السببية، وكتعدد هيئات الراوي بالتخلص من هذا القالب النمطي القائم على وحدة الصوت المهيمن على عملية الحكي، وتوسيع النظرة إلى الشخصية بحيث لا يقتصر تناولها داخل النص السردي؛ بوصفها كائنًا إنسانيًا يوازي ويرادف العنصر الإنساني في العالم الحقيقي المعيش، وإعطاؤها مساحة أوسع تتجاوز كونها كائنًا من لحم ودم؛ لتصير مصنوعا لغويًا قد يرادف جمادًا أو مجردًا يعبر عن فكرة أو عاطفة على سبيل المثال، وبتأمل متأنٍ لهذه الآليات نجد أنها قد حظيت بحضور في موجودات سردية سبقت وقوع هذه الحرب، لكن ما يلح عليه دعاة ما يسمى بالتجديد في الصياغة السردية أو أنصار ما يسمى بالرواية الجديدة هو إفساح المجال بدرجة أكبر لتكون هي المهيمنة في داخل العالم المحكي، وليس مجرد الحضور الجزئي أو الحضور على استحياء في ثنايا هذا العالم.
- انظر: د. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، العدد 240، إصدار شعبان/1419هـ، ديسمبر 1998م، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المبحث الخاص بأسس البناء السردي في الرواية الجديدة، من ص53 إلى ص82، والجزئية الخاصة بالشخصية الصفحات: 85، 86، 87.

الـذي قـام بتوظيفـه فـي حديثـه عـن عمـار وعبـد الله بـن مسـعود فـي طـور تمكينهـم بعـد أن تحولـوا مـن حـال الاسـتضعاف والتهميـش إلـى حـال التمكيـن وتصـدر المشـهد الحياتـي وتولـي أدوارٍ قياديـة.

- لجـوؤه إلـى أسـلوب الشـرح والتعليـق فـي الغالـب فـي ثنايـا تقديمـه للحـدث وشـخصياته، ويـزداد هـذا الـدور ذو الصبغـة التعليميـة جـلاءً عندمـا يجـد القـارئ نفسـه أمـام هوامـش كثيـرة فـي داخـل الروايـة تشـرح لـه وتفسـر معانـي كلمـات غامضـة بالنسـبة إلـى قـارئ ليـس علـى صلـة أو درايـة باللغـة العربيـة، ولا مهتـم بهـا قـراءة وتذوقًـا؛ فبحكـم الانتمـاء التراثـي لهـذه الملفوظـات وقلـة اسـتعمالها فـي الزمـن المعاصـر يلجـأ الـراوي إلـى هـذه الطريقـة التـي تضفـي عليـه وجـودًا مميـزًا؛ فعلـى سـبيل المثـال لا الحصـر بالطبـع نجـده فـي النـص السـابق، فـي سـياق حديثـه عـن عـدل عمـار ونصحـه بالحسـنى للنـاس «دعـوه حتـى يكـون فـإذا كان تجشـمناها لكـم»؛ فقـد أشـار فـي هامـش هـذه الصفحـة إلـى أن تعبيـر تجشـم الأمـر يعنـى « تكلفـه علـى مشـقة»[1] وفـي الختـام، فـي الوحـدة التاسـعة والعشـرين تحديـدًا يأخـذ بأيدينـا إلـى الهامـش ليفسـر لنـا معنـى لفظـة «أدال» الـواردة فـي سـياق قولـه « أدال لهـم قيصـر وكسـرى»؛ ففـي هامـش هـذه الصفحـة يشـير إلـى أن تعبيـر أدال لهـم تعنـي: «جعـل الكـرة لهـم علـى الفـرس والـروم»[2]، ومـن الواضـح أن هـذا تأويـل يتجـاوز حـدود الشـرح المعجمـي إلـى الشـرح المصطبـغ بصبغـة تاريخيـة تأخذنـا خـارج حـدود هـذا العالـم السـردي إلـى شـخص طـه حسـين نفسـه، ذاك الأكاديمي المعلـم المشـغول بقضايـا اللغـة وبـالأدب وبالتاريـخ معًـا فـي عملـه الجامعـي، وفـي بعـض مـا قدمـه إلـى المكتبـة العربيـة مـن كتابـات، ليـس ذلـك فحسـب بـل تضعنـا كذلـك أمـام إدراكـه أنـه يتقـدم بعمـل كهـذا إلـى أكبـر شـريحة مـن المتلقيـن دون الاقتصـار علـى فئـة المتخصصيـن أو المعنييـن باللغـة العربيـة فـي بعديهـا اللغـوي والأدبـي الذيـن يمكنهـم القيـام بهـذا الـدور عبـر البحـث فـي المعجـم نيابـة عـن راويـه، وفـي هـذا تأكيـد لعلاقـة التماهـي الحاصلـة بيـن الـراوي وطـه حسـين، وفـي هـذا التماهـي يمكـن القـول: إن المضـارع الـذي يمثلـه عصـر طـه حسـين يـذوب مـع الماضـي الـذي يمثلـه الإطـار الزمنـي والسـياق التاريخـي للأحـداث فـي «الوعـد الحـق».

(1) السابق، ص162.

(2) د. طه حسين، الوعد الحق، ص176.

- استباق الحدث؛ فنجده قبل الوحدة الأولى من «الوعد الحق» يأتي بآية سورة النور التي تحمل موعود الله للمؤمنين الصابرين الصادقين، وهو بذلك يقفز بأفق القارئ الذهني إلى النتيجة أو لنقل الجائزة والمصير قبل الولوج إلى الحدث وتفاصيله الذي أفضى إليها في نهاية المطاف؛ إنه بهذه الآلية السردية يقف بنا بدايةً أمام حالة ميتافيزيقية غيبية تتعلق بمستقبل - الإيمان الصادق بها مسوغ من مسوغات العبادة الحقة لله - إلى حالة فيزيقية ملموسة معيشة ملموسة بعين اليقين، وبفضل هذه الآلية يرتدي ثوب المتنبئ؛ فمن الغيبي غير المدرك بعد ينزل بنا إلى واقع مضارع تتشابك خيوطه وتتلاحم لتؤدي في النهاية إلى مشهد الختام السعيد ذي الصبغة المثالية الفردوسية.

- الملاحظ أيضًا تجاوز هيئة المتنبئ هذه فضاء الراوي باقترابها من عدد من شخصيات الحكي، التي كان للنبوءة دور فاعل في حركتها؛ فنجد النبوءة في مستقرها الجديد هذا عبر اتصالها بعدد من الشخصيات تبدو في شكل رؤيا منامية أو في هيئة ملفوظ بُث إلى الشخصية من غيرها؛ فعلى سبيل المثال نجد ياسر زوج سمية ووالد عمار يلتحم بالرؤيا قبل إسلامه وأهله، وتتحول الرؤيا مع هذه الأسرة المعذبة من حالة رمزية مجردة إلى واقع تحياه بعد ذلك:

« رأيتُ رؤيا روعتني عن النشاط والقول...قالت سمية..وهي متضاحكة: فهلا رأيت من آخر كل ليلة رؤيا تروعك وتشغلك عن النشاط...قال: ويحك يا سمية! إنها رؤيا ليست كالرؤى، وما أرى إلا أن لها شأنًا ...سأصف لك صورة رأيتها نائمًا وما زلت أراها يقظانًا: واد ليس بالمسرف في السعة ولا بالمسرف في الضيق...يأخذ جانبيه جبلان عظيمان... وقد تشقق الجبلان عن فجوات عميقة أراها ولا أحصيها، والنار من هذه الفجوات يسعى بعضها إلى بعض، حتى تلتقي وحتى يسيل بها الوادي كما يسيل بالماء، وفي أقصى هذا الوادي من أمامي مروج خضر تجري فيها ماء عذب لا تبلغها هذه النار...وأنتِ قائمة في هذه المروج الخضر قد رُد عليك شبابكِ وأشرق وجهك..وأنت تبتسمين لي وتدعينني باللحظ واللفظ وتشيرين إلي بالبنان، ومن ورائي عمار، ويقول في صوت يشيع فيه الحنان: أقدم أبتِ؛ فليس عليك بأس، إنما هي لفحة أو لفحات، ومن ورائها هذه الرياض الخضر! وسمية قد رد عليها شبابها، وشبابكَ ينتظرك إلى جانبها ليُردَّ عليكَ، فأهمُ أن أقتحم النار،

ولكن لفحها يوقظني»[1] ، ثم يعلق الراوي بعد هذا المشهد قائلا: « ولم يقبل المساء من ذلك اليوم حتى كانت رؤيا ياسر قد عبرت نفسها، وحتى وجد ياسر مس النار»[2].

أما عن صهيب الرومي والنبوءة التي كان لها أثر بالغ في مسار حياته فيمكن متابعتها من خلال صياغة الراوي لها في هذا المشهد الذي يقوم على حوار بين صهيب ومولاه (سيده) عبد الله بن جدعان:

« ليس لي في بلاد الروم أرب..فقد علمت منذ آخر الصبا وأول الشباب أن بلاد الروم ليست لي بدار، وقد علمت من آخر الصبا وأول الشباب أن لي في قريتك هذه أربًا أي أرب..قال عبد الله بن جدعان: لك في قريتنا هذه أرب أي أرب! وما ذاك؟ قال صهيب: لو عرفته لأنبأتك به، ولكني نبئت منذ آخر الصبا وأول الشباب أن محياي ومماتي في أرضكم هذه، أعيش في حرمكم هذا شطرًا من عمري، وأعيش في حرم آخر شطره الذي يبقى لي، وأموت وأدفن في أرض الحجاز، قال عبد الله بن جدعان: ويحك يا صهيب! إنك لتحدثني بالأحاجي؛ منذ اليوم وإني لا أعرف في بلاد العرب حرمًا غير هذا الحرم، قال صهيب: وأنا لا أعرف في بلاد العرب حرمًا غير هذا الحرم، ولكني أحدثك بما نُبِئت به في آخر الصبا وأول الشباب، وهو حديث سمعته من قس في بلاد الروم؛ فلم أفهمه ولم ألق إليه بالاً حتى رأيتني أباع في ذات يوم من بني كلب، وسمعت سادتي يتحدث بعضهم إلى بعض بأنهم يبيعونني بثمن ربيح حين يفد عليهم الوافدون من سكان الحرم من قريش، ولو شئت أن أفلت من بني كلب لما أعياني الإفلات، ولكني أردت أن أمتحن نبوءة القس، فألفيتها صادقة إلى الآن، وما أرى إلا أنها ستصدق حتى تبلغ مداها»[3]

- **تعليق ختامي**

إن البناء المعماري لفعل الاستقبال يتحرك حركة أفقية إلى الشق الخارجي المتصل بعلاقة طه حسين بعالمه، وعلاقة عالمه به، وحركة رأسية تتبين أماراتها في داخل أحد عوالمه المصنوعة باللغة ونموذجها في هذه الدارسة «الوعد الحق» ونلمحها من خلال هذين المستويين:

(1) د. طه حسين، الوعد الحق، صفحات: 27، 28، 29.

(2) السابق، ص29.

(3) السابق، ص48، 49.

- استقبال الراوي للنص القرآني وتأويله له في تفصيلة سردية تتكون من تسع وعشرين وحدة.

- استقبال الشخصيات داخل منظومة الحكي لإطار فكري له مرجعيته، ويتمثل في النبوة وما يعلق بها من أنساق للقيمة تعد بمثابة ثورة على ثابت متوارث في الواقع الحياتي، وفي هذا المستوى يستحيل فعل الاستقبال إلى طرفين، يقع كل واحد منهما على النقيض من الآخر، ففريق يتلقى هذا الإطار ذا الصبغة الثورية بقبول حسن فيقع منه موقع التابع المؤيد فيستحق بذلك هذه المكافأة (ثواب الصحبة) التي تتفرع بعد ذلك إلى فرعين: مهاجر وأنصاري ، تمت بينهما مآخاة في مرحلة لاحقة بعد حدث الهجرة إلى المدينة) وفريق يناصب هذه الفكرة العداء ويطلق على مؤيديها تسمية من منظوره هو تعد تهمة تكشف عن إجرام وتمرد هي (صابئ).

- ويتفرع عن هذا المستوى في الاستقبال مستوى فرعي يمت له بصلة، يتمثل في الرؤيا والنبوءة، وأثرهما في توجيه سلوك عدد من الشخصيات، كياسر وآله وصهيب الرومي، وفي ضوء هذه الحالة يمكن تصنيف عمل طه حسين ومعالجته عبر هذا المصطلح (أدب التحولات)، الذي نستطيع أن نتعامل معه؛ بوصفه جنسًا أدبيا يفرزه عالم الأدب بأنواعه التقليدية المعلومة، ويعبر عنه انتقال الشخصية من طور إلى طور وما ينتج عن هذا الانتقال من تغيرات جوهرية قد تتجاوز بنتائجها حدود الحضور الفردي للشخصية لتلامس وجودًا أوسع[1]، كما هو الحال بالنسبة إلى الجماعة العربية وأفرادها في انتقالهم من طور الوثنية إلى طور التوحيد الخالص، ومع هذا الانتقال سيادة لقيم العدل والمساواة والأخوة بمفهوم واسع ينقد مفهوم القبيلة وما يعلق به من عصبية سلبية ضيقة، ويرتقي بالروابط الإنسانية ويوسعها وينقيها من شوائب الانحيازات غير المنصفة القائمة على أساس العرق

(1) في حقل النقد الأدبي هناك مصنف أُفرد لمعالجة هذا المصطلح بتفصيل وإسهاب، مفيدًا من عدد من الإبداعات الأدبية النثرية لأدباء محدثين، ويعالج الحركة الدرامية للشخصيات وتطورها ويقف على الجوانب الدلالية وارتباطاتها بالعالم الخارجي المحيط بتجربة المبدع، في سعي للكشف عن فكرة التحول هذه من زاويتين: جمالية تتصل بداخل النص وتشكيل الشخصيات، ومرجعية تتصل بخارج النص وما تحمله من قيم فكرية ذات صلة بسياق اجتماعي أكبر .
- انظر: د.سيد محمد قطب وآخرون، أدب التحولات: دراسة في العلاقة الجدلية بين الجمال والأيديولوجيا، الطبعة الأولى، 2005م، دار الهاني، القاهرة.

أو اللـون أو اللغـة أو الثـروة وحيـازة المـال ، ويجعـل الديـن ببنائـه المتصـل بــ (افعـل/ أوامـر، ولا تفعل/نـواهٍ) ضمانـة لبقائهـا ولفاعليتهـا ولشـموليتها؛ فـلا فضـل لعربـي علـى عجمـي إلا بالتقـوى.

أمـا العالـم الـذي يقـع موقـع المرسـل إذًا بالنظـر إلـى المجـال التطبيقـي للدراسـة (طـه حسـين وراويتـه «الوعـد الحـق»)، فنسـتطيع أن نقـف علـى بعـض ملامحـه عبـر ملفوظـات بعينهـا، مثـل:

- الطفولة والنشأة المتعلقان بالكاتب.
- الأزهر وملابسات التحاقه به ومقامه فيه.
- الإمام محمد عبده.
- دراسة التاريخ العربي والمصري القديم.
- صحبته لأبي العلاء.
- سفره إلى فرنسا.
- قراءة جهد عدد من المستشرقين في اتصالهم بالثقافة العربية مثل: مرجليوث.
- منهج الشك الديكارتي وتأثره طه حسين به.
- اتصاله بالفرنسية سوزان وزواجه منها.

أمـا موقـع الاسـتقبال الـذي يمكـن النظـر إليـه؛ بوصفـه رد فعـل فنسـتطيع أن نرقمـه ونصنفـه علـى هـذا النحـو: رد الفعـل الأول ويتعلـق بطـه حسـين ومنجـزه الفكـري فـي مجملـه الـذي يأتـي اسـتجابة للمثيـر الـذي وصلـه مـن المرسـل/العالم، وفـي داخلـه تسـكن أعمـال، مثـل: «الأيـام»، و«فـي الشـعر الجاهلـي»، وبسـبب هـذا الأخيـر تحديـدًا يظهـر فـي هـذا الموقـع مـا يمكـن تسـميته بـرد الفعـل الثانـي، الـذي نظـر إلـى الأول نظـرة سـمتها النفـي أو الاعتـراض، وفيـه تصادفنـا نمـاذج، مثـل: « رسـالة فـي الطريـق إلـى ثقافتنـا» لمحمـود محمـد شـاكر، و« تحـت رايـة القرآن» للرافعـي، وتأسيسًـا علـى رد الفعـل الثانـي هـذا الـذي يمكـن النظـر إليـه؛ بوصفـه معبـرًا عمـا اصطلـح علـى تسـميته فـي هـذه الدراسـة بـ(فعـل الاسـتقبال المضـاد) تخـرج أعمـال لطـه حسـين يتسـنى التعامـل معهـا مـن منطلـق أنهـا رد فعـل ثالـث يحمـل فـي مقاصـد خروجـه غايـات قـد

تتعلق بحرص طه حسين على تلطيف الأجواء وتنقيتها من شوائب الخصومة والعداء التي تلازم في حضورها رد الفعل الثاني، وفيه نجد على سبيل المثال «على هامش السيرة»، و«الوعد الحق»، و«الشيخان».

نخلص من كل ما سبق إلى أن فعل الاستقبال يمكن معالجته عبر بعدين يضيئان وجوده:

- فعل استقبال مرجعي يتصل بالجانب الحياتي الملموس وحضور الذات المعنية بالتعبير بأنساقه المتنوعة فيه وصلاتها بغيرها داخله وما تفرزه تلك الصلات من تفاعلات تقوم على التأثير والتأثر أو الفعل ورد الفعل،
- فعل استقبال جمالي ذو صبغة فنية يتعلق بداخل البنية التعبيرية التي تصنعها الذات تبعًا للأول وما يحصل لها فيه.

إذن يتبين بجلاء ما يتميز به موقع كل من المرسل والمستقبل وما يصاحبهما من أنساق تعبيرية من مرونة وقابلية للحركة في مسارات أفقية ورأسية يتولد منها منجزات تضيف إلى رصيد المعرفة الإنسانية عمومًا، ليس ذلك فحسب، بل ما يتميز به ساكن كل واحد منهما من قدرة على الترحال فيما بينهما، في إطار حالة يمكن رصدها في هذه الثنائية (الفاعل المرسل /والمفعول المستقبل الذي يقع عليه أثر الأول بما قد يدفعه إلى ترك مكانه باتجاه هذا الفاعل رغبة في سكناه بما يكشف عن رغبة في الفعل والتأثير) في جدلية حياتية لا تتوقف، ومنها يمكن تفسير ما تخرجه يد الإنسان من أفعال تسهم في رسم ملامح حياته على الأرض عمومًا، وما يتصل بهذه الملامح من صراع ذي أوجه كثيرة تقوم على البناء حينًا والهدم حينًا آخر.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. طه حسين، الوعد الحق، طبعة 2001م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
3. أحمد درويش، مدخل إلى الأدب العربي الحديث، موقع دكتور أحمد درويش على شبكة المعلومات الدولية، www.drahmeddarwesh.com
4. أنور محمود زناتي، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، موقع الكتاب والمفكرين العرب (الألوكة) على شبكة المعلومات الدولية، www.alukah.net
5. برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة: د. لطفية عشور، طبعة 1994م، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
6. جان بول سارتر، نظرية في الانفعالات، ترجمة: د. سامي محمود علي، د.عبد السلام القفاش، طبعة 2001م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
7. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، طبعة 2000م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
8. جورج لوكاش، الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد كاظم، طبعة 2005م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
9. جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي، عبد الله صولة، طبعة 1992م، منشورات بيت الحكمة، تونس.
10. جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، الطبعة الثانية، 1997م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
11. حامد أبو أحمد، الخطاب والقارئ، دار النسر الذهبي، القاهرة، دون تاريخ.
12. روبرت سي هول، نظرية الاستقبال، ترجمة: رعد عبد الجليل عواد، الطبعة الأولى، 1992م، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية.
13. رومان جاكوبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي، مبارك حنوز، الطبعة الأولى، 1988م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
14. سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، طبعة 2000م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
15. سيد محمد قطب وآخرون، أدب التحولات: دراسة في العلاقة الجدلية بين الجمال والأيديولوجيا، الطبعة الأولى، 2005م، دار الهاني للطباعة، القاهرة.
16. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة الخامسة والعشرون، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.
17. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، الطبعة الثالثة، 2005م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
18. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، العدد 240، إصدار شعبان 1419هـ، ديسمبر 1998م، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
19. كارل جوستاف يونج، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة، طبعة 2003م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
20. محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، طبعة 2005م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

21. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية: قراءة أخرى، الطبعة الأولى، 1997م، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة.
22. محمد مندور، الأدب وفنونه، طبعة 2000م، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
23. في الأدب والنقد، طبعة 1988م، دار نهضة مصر، القاهرة.
24. مراد عبد الرحمن مبروك، آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة، عدد مارس 2000م، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
25. مصطفى علي عمر، مقالات في النقد الأدبي، الطبعة الثانية، 1987م، دار المعارف، القاهرة.
26. الترجمة الخاصة بطه حسين على موقع المعرفة على شبكة المعلومات الدولية، www.marefa.org
27. G.Warnke, Gadamer, Hermeneutics, Trandition and Reason, Polity Press-Basil Blackwell Ltd, 1987.

Translated Arabic References: **ترجمة مصادر ومراجع اللغة العربية:**

1. Al-Quran Al-Karim.
2. Taha Hussein, *Al-Wa'd Al-Haqq*, tab'at 2001, Al-Hay'a Al-Misriya Al-'Amma Lilkitab, Al-Qahira.
3. Ahmed Darwish, *Madakhal ila Al-Adab Al-Arabai Al-Hadith*, mawqa' Dr. Ahmad Darwish Ala Shabakat Al-Ma'lumatiya Al-Duwaliya.www.drahmeddarwesh.com
4. Anwar Mahmoud Zanaty, *Kitab Attabqat Al-Kobra Libn Sa'd*, mawqa' Al-Kitab Aalmufakkireen Al-Arab Alluka ala shabakat Al-Ma'lumatiya Al-Duwaliya www.alukah.net
5. Bertrand Russell, *Assulta Walfard*, tarjamat: Dr. Lutfiya Ashour, 1994, tab'a 1994, Silsilat Alf Kitab Aththani, Al-hay'a Al-Misriya Al-Amma Lilkatab, Al-Qahira.
6. Jean-Paul Sartre, *Nadhariyat fi Al-Infi'alat*, tarjamat: Dr. Sami Mahmoud Ali, Dr. Abdul Salam Al-Qaffash, 2001, Al-hay'a Al-Misriya Al-Amma Lilkatab, Al-Qahira.
7. Al-Jurjani (Abdel-Qaher), *Dala'il Al-'I'jaz*, tabat 2000, Al-hay'a Al-Misriya Al-Amma Lilkatab, Al-Qahira.
8. George Lucacs, *Arriwaya Attarikhiya*, tarjamat: Saleh Jawad Kadhim, tab'at 2005, A-Majlis Al-A'la Litthaqqafa, Al-Qahira.
9. George May, *Assira Aththatiya*, ta'reeb: Mohammed Al-Qadhi and Abdullah Soula, tab'at 1992, Manshurat Bayt Al-Hikma, Tunis.
10. Gérard Genette, *Khitab Al-Hikaya*, tarjamt: Mohamed Moatasem et al, attab'a attahniya, 1997, A-Majlis Al-A'la Litthaqqafa, Al-Qahira.
11. Hamed Abu Ahmed, *Al-Khitab Walqaari'*, Dar Annisr Adhdhabi, Al-Qahira, dun tarikh.
12. Robert C. Hall, *Nadhariyat Attaqabbul*, tarjamat: Raad Abduljalil Awwed, Attab'a Al-Oula, 1992, Dar Al-Hiwar Linnashr Wattawzi', Al-Qahira.

13. Roman Jacobson, *Qadhaya Ashshi'riya*, tarjamat: Mohamed El Wali, Mubarak Hanouz, Attab'a Al-Oula, 1988, Dar Tubqaal Linnashr, Addar Al-Baydha'.
14. Sigmund Freud, *A-Mujaz Fittahlil Annfsi*, tarjamat: Sami Mahmoud Ali, Abdul Salam Al-Qaffash, tab'at 2000, Al-Hay'a Al-Misriya Al-'Amma Lilkitab, Al-Qahira.
15. Sayyed Mohamed Kotb wa Akharoun, *Adab Attahawulat: Dirasa fil Alalqa Al-Jadaliya bayna Al-Jamal wal Idyoulujia*, Attab'a Al-Oula, 2005, Dar Al-Hany Littiba'a, Al-Qahira.
16. Shawqi Dhaif, *Tareekh Al-Adab Al-Arabi, Al-'Asr Al-Jahili*, attab'a al-khamisa wal 'oshroun, Dar Al-Ma'arif, Al-Qahira, dun tarikh.
17. Abdallah Al-Ghadami, *Annaqd Aththaqqafi*, attab'a aththalitha, 2005, Al-Markaz Aththaqqafi Al-Aarabi, Addar Al-Baydha.
18. Abdul Malik Mortadh, *Fi Nadhariyat Arriwaya: Bahth fi Taqniyat Assard*, al'adad 240, isdar Sha'ban 1419 H, December 1998, Silsilat 'Alam Al-Ma'rifa, Al-Kuwait.
19. Karl Gustav Jung, *'Ilm Annafs Attahlili*, tarjamat: Nihad Khayata, tab'at 2003, Al-Hay'a Al-Misriya Al-'Amma Lilkitab, Al-Qahira.
20. Mohamed Hassan Abdullah, *Al-Waqi'iya fi Arriwaya Al-Arabiya*, tab'at 2005, Al-Hay'a Al-Misriya Al-'Amma Lilkitab, Al-Qahira.
21. Mohamed Abdel-Muttalib, *Al-Balagha Al-Arabia: Qira'a Okhra*, Attab'a Al-Oula, 1997, Almisriya Al-Alamiyya Linnashr, Longman, Al-Qahira.
22. Mohamed Mandhour, *Aladab wa Funounuh*, tab'at 2000, Maktabat Nahdhat Misr, Al-Qahira.
23. ___. *Fi Al-Adab Wannaqd*, tab'at 1988, Dar Maktabat Nahdhat Misr, Al-Qahira.
24. Mourad Abdel Rahman Mabrouk, *Aliyat Assard Firrawaya Al-Arabia Al-Mu'asira*, 'adad Maris 2000, Silsilat Kitabat Naqdiya, Al-Hay'a Al-'Amma Liqusour Aththaqafa, Al-Qahira.
25. Mustafa Ali Omar, *Maqalat Finnaqd Al-Adabi*, attab'a aththaniya, 1987, Dar al-Maarif, Al-Qahira.
26. *Attarjama Al-Khassa Bi Tha Hussein*, 'ala mawqi' al-Ma'rifa ala Ashshabaka Al-'Alamiya: www.marefa.org

The Reception of the Self from the World and Linguistic Formation
Taha Hussein's The Promise of Truth as a Model

Ahmed Yehia Ali

Facult of Al-Alsun y - Ain Shams University

Cairo - Egypt

Abstract:

This study discusses the act of reception related to the experience of the self in its world; i.e., the external reality surrounding it as having an effective influence on becoming aware of the self and the consequent forms of expression, including the different genres of literature. The study focuses on the practical experience of the Egyptian writer Taha Hussein (1889-1973) as described in one of his works, The Promise of Truth, using a descriptive analytical method that seeks to benefit from the advantages of Reception Theory and some of the terms developed by modern narrative science. The study seeks to answer the question: how can the act of receiving the self from its world, based on its reading, be of a disseminating nature in the sense that it causes the emergence of expressive forms that occupy the site of reaction or serve as outcomes revealing the correspondence between the two sides. Our understanding of such correspondence is not limited to the question of synonymous or equivalent expressions, but is extended to opposite expressions, as well. The study tries to benefit from the intellectual outputs of several fields of knowledge, such as: modern narrative theory, the act of reading, reception theory, and the concept of phenomenology (the self and its perception of what is in the world) related to the field of philosophy, along with the concept of conformity in the domain of rhetoric.

Keywords: Self, The World, Novel, Reception.